# لن يقفل باب مدينتنا

# لن يقفل باب مدينتنا

## رواية

عبدالحميد مجدي

**اسم الكاتب: عبد الحميد مجدي عبد الحميد**
**اسم الكتاب: لن يُقفل باب مدينتنا**
**تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية**
**تصميم الغلاف: محمد بن منصور - محمد سعد الشحات**
**الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم**
**الطبعة / الأولـى – يناير ٢٠٢٠ م**
**رقم الإيداع: 2020 / 4391**

**Arabiclibrary2017@gmail.com**
**Facebook.com/arabiclibrary2017**

جميع الحقوق محفوظة

**جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو إلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.**

لو لم يجبرنا الطبيب علي البكاء عند الولادة

لأقبلنا علي هذه الحياة بدم بارد

وتلاشت كل هذه الأوجاع

عبد الحميد مجدي

إلى روح الانسة مى زيادة..

أثق أن الرحيم قد جبر قلبك الكسير

وأنبت فى ثناياه ورداً أبدية

أحبك يا سيدتى

# الفصل الأول

## هرينسكو - جمهورية التشيك

كوردة أزهرت في فصل الخريف، كصوت فيروز يتماوج بسحره داخل آذان صماء، كفراشة تحلق فوق أرض لا نهائية من الخراب، وسط كم هائل من ركام ماض غابر يدعي ذكريات تحيا الأن سارا أريسون في ربيعها الثامن والثلاثون.

من يدركها حتما سيخبر نفسه: سبحان من بث هذا الجمال في هذا المحيا. لكنه سيتعجب أيضا: ما بال هذه السيدة يعتليها كل هذا الشجن في الوقت ذاته، أيمكن لوجه واحد أن يستوعب كل هذا التناقض الذي يبدو جليا عند النظر إليها للوهلة الأولي.

وجها يحمل في تفاصيله الرقيقة كم هائل من أسرار، يحكي قصة ما متقلبة الفصول جدلها القدر مع سنوات عمرها المنقضية واصطبغت علي وجهها الفاتن دون إرادة منها. وفي نهاية الأمر سيتسائل: هل كان لها بمزيد من الجمال اذا كانت تحيا في غبطة دائمة أم أن كل هذا الشجن هو من أضفي عليها بهذا السحر؟

الحق أنها ليست وجهة نظر بقدر ما هي حقيقة أنه عندما يستشعر المرء الجمال ممسوسا ببعض الحزن سيدركه بقلبه ودواخله المعنوية ساحرا عن ذلك الجمال الذي يزداد بالسعادة سذاجة فتدركه رؤي العين في صورة مادية لا أكثر. حسنا انه الحزن إذا، الأسطوره التي لا تنتهي، الشعور الفاخر

والعاطفة العميقة التي تعطي للأشياء قيمتها وجلالها، أما جئنا من الأبدية إلي حياة الشقاء باحثين في أيامها عن الغبطة و السرور فلم نجد سوي الكآبة و التوجع، فإذا كانت الحياة خلقت من شقاء فإننا بالحزن وتجرع الآلآم نستطيع أن نلتمس غايتها وجوهرها، حينها فقط سندرك أن السعادة هي غاية ناقصة، لا تثقل الإنسانيه بشيء، تجئ وتذهب وفي غمرتها سينتابنا القلق حيال نفاذها الحتمي الوشيك فما بين تباريح الحياة وغبطتها تخمر انسانيتنا، لذا السعادة ما كانت لتزيد منها شيئا بل إن الحزن هو من أضفي عليها بذلك السحر حتي بات وجهها يلقي الحكمة، حكمة الجمال، إليست حقا مُدهشة؟.

إننا يجب أن نُقدس الحزن لا لنهرب منه، فهو الدواء للنفس البشرية وكلما إزدادت مرارته إزددنا معه سموا ورقيا لدرجة انه إذا أدركت مسامعنا صوت كلبا كان قد تعرض لمحنة سابقة فحق علينا أن نسمع نباحه علي أنه حكمه فلسنا فقط من لحم ودم.

تقطن سارا مع والدتها في منزل خشبي صغير ذا طابقين وحديقة كبيرة تبعث في روحك الهدوء والسكينة وسط أعماق الريف التشيكي المطمئن، هناك حيث الطبيعة تتزين بكامل سحرها الصارخ الذي يجبرك علي التأمل بصمتك إلي جمالها الهارب من سطوة المدينة والحضارة، لطالما تأثرني تلك الأماكن وتثير في مخيلتي التسائل دائما بحيث أيمكن لهذه الأرض التي هي موطننا في هذا الكون المديد أن تضم في طياتها هذه المروج الفردوسية والجنان الخضراء بجانب تلك الأرجاء الملعونة بقوانينها البشريه الموحشة

وطبيعتها القاسية في جسد واحد لكن سرعان من تداهمني فكرة أخري تجعل لي الأمر يبدو منطقيا متوازنا وهي أننا أيضا خُلقنا من طبقاتها المتباينة بحيث تميل كل نفس إلي ما خُلقت منه.

تَجلس وسط الحديقه في تأمل، تُرسل بنظرات ملؤها الحنين إلي اللاشيء البعيد ربما في محاولة للقبض علي لحظة فرح سابقة تباغتها الأن لا أدري لكن يمكنني القول أنها حالمة لدرجة أنها أصبحت لا تمتلك من واقعها إلا القليل فلم تعد تُغريها أية مشاعر انسانية جديدة، ما عايشته في الماضي كان أعظم من أي جديد قد يطرأ لذا ماضيها هو بطل حاضرها الأن.

أن تتعايش مع ماضيك بكل ما فيه من أحزان هذا يعني أنك عقدت الصُلح معه فلم يعد قادرا علي إيلامك أكثر من أي وقت مضي وهذا شيء أراه ساحقا جدا للنفس البشرية بكل ما تحمله الكلمة من مأساة حيث اننا لم نسمع من قبل أن أحدا قد مات من الحزن ليس لأن الموت هو أكثر المراحل إيلاما وأقساها تعذيبا، لا بالتأكيد بل ان الحزن وأقصد به هنا هو ذلك النحيب الداخلي الذي يستبد بجدران بالقلب ولا ينفك يفارقك هو من يجعلك ترجو الموت بما فيه من خلاص ونهاية فالموت أقل وطأة من الحزن وأكثر منه رحمة لكنها تخطت تلك المرحلة وعبرت بكل تباريحها وشدائدها فأصبحت امرأة ملائكية أكثر سموا وأرقي منزلة علي المستوي الإنساني لدرجة أنك تستطيع وبكل إنكار للذات أن تذهب إليها وتجلس تحت قدميها مجازا طلبا للحكمة إجلالا وتعظيما لها.

همت بمغادرة المنزل في سياره مكشوف نصفها العلوي. بثبات ورشاقة

تعبر بين المروج والمزارع مختلفة الألوان علي طريق مرصوف ملتوي يخترقها رغبة منها أو كما أرادت وكأنها لوحة إبداعية حاكتها يد الله علي أرضه.

كما درجت العاده أدارت مشغل الموسيقي علي تلك الإسطوانة التي سبق وأن قامت بنسخ العديد منها ملحقة إياها بكل الأماكن التي يمكن أن تهتدي إليها. أخذت تعلو النغمات لتعلن عن إحدي مقطوعات موتسارت الإبداعية إنها السيمفونية الأربعين لكن سرعان ما تخللها صوت فيروز فأصبغتها طابعا شرقيا أصيلا:

يا أنا.. يا أنا.. أنا وياك صرنا القصص الغريبة

يا أنا.. يا أنا.. أنا وياك وانسرقت مكاتيبي

وعرفوا انك حبيبي وعرفوا انك حبيبي

هي تدرك تماما كل كلمة في هذه الأغنية وكل معني تحمله في ظاهرها أو تواريه خلفها ولما لا وبهذه اللغة حفرت علي جدران قلبها أجمل قصة عشق عايشتها واستشعرت بكلماتها أصدق معاني الحب قولا ووصفا وبمفرداتها تستطيع وصف غبطتها وشجونها بما لا تحتويه أية لغه أخري..

يا أنا.. يا أنا.. هرب الصيف هربت عناقيد الزينة

وإذا ضيعني الهوى شي صيف بقلبك بتلاقيني

وخبيني ولا تخبيني.. خبيني ولا تخبيني

جمال اللحن ورقة المعاني وصوت فيروز تنسيان المرء عالمه تفقدانه الإحساس بواقعه تسرقانه من مكانه وتزرعانه في عالم سريإلي فريد ليختلط عليه الواقع بالخيال رغما عنه فصوت فيروز هو ألة الزمن التي نتنقل بها بين

الواقع و الخيال، لطالما إعتقدت أنها لو عاصرت زمن الإغريق لقاموا بتنصيبها ربه مقدسة للصباحات الآثرة علي مر العصور ويخيل لي أحيانا أنها آلة موسيقية أوجدها الله منذ نشأته للكون وبث فيها روح امرأه سيطر الإحساس علي كل ذرة في جسدها فأحيت أحبالها الصوتيه نغما وطربا حتي أصبحت آيه من آياته في الطبيعه.

هي الأن ذاهبة لتبوح بما أغلقت عليه صدرها طوال سنين عدة، ما عبق بقلبها ولم تغيره يد الزمان بالسأم او النسيان، ما أخفته عن أقرب المقربين، ما لم يحكي في قصص العاشقين ولم يقال علي لسان المتيمين ، ما لم يستطع الشعراء وصفه ولا الكتاب سرده ولا له في اللغة من عنوان.

في قانون العشق والهوي أن يبوح العشاق بأسرارهم العاطفية الدفينة التي أقاموا حولها الأسوار والأسلاك الشائكة لفترات طويلة قابعة في قلوبهم هذا يعني أنهم أصبحوا في نشرات عاطفية دائمة علي مرئي ومسمع من الجميع فما من لحظات شرود أو نوبات تفكير طويله إلا وبات الجميع يعلم بسرها وهذا يشبه بالإنتحار العاطفي. نعم فنحن بارعين دائما في الإخفاء و التكتم وقلب الحقائق عندما يتعلق الأمر بقلوبنا ومشاعرنا، إنها طبقات من أسرار أو أشبه بذلك السائل الذي يركض داخل أوردتنا لا يعلم أحد عنه شيئا إلا إذا استبحنا هدر بعض منه، فقلب العاشق أشبه بمتاهه تنهك من يقتحمها بحثا عن سرها، ربما نميل إلي ذلك لأنه شيء معنوي خاص لن يفهمه الأخرين بالكلمات وبالطبع لن يعطوه حقه بالتقدير وما أنفق عليه من مشاعر أخذت من عقل وقلب الجسد الكثير.

للحب طقوسه المقدسة وبالرغم من ذلك يفضل الجميع أن يمارسوه كخطيئة في الخفاء وهي الأن لا يفصلها عن لذة الجهر به إلا القليل..

********

ضغطت مكابح السيارة لتهتدي عند مطعم أُقيم في منتصف بحيرة هادئة الطباع تعبر لها من خلال جسر خشبي صغير أُقيم علي سطحها، يتردد عليه أصحاب الذوق الرفيع في تناول الأسماك وحساء المأكولات البحريه، هناك يمكنك طلب اصطياد الأسماك بنفسك من البحيرة فهي أشبه بمزرعة كبيرة تستوعب في باطنها مختلف الأنواع ومن ثم تجلس أمام طاه محترف يسرق عينيك بتلاعبه بكل تمكن بأدوات المطبخ في الهواء ويزيد من حمية الإثاره بمداعبته لنيران الطهي أيضا لتجد نفسك في النهايه أمام وجبة إلتقطها أنت بمخطاف صنارتك.

تركت ذلك كله وارتقت سلم الطابق الثاني وهو أقل في المساحة منفصلا عن ما يدور بالأسفل ساحرا في إطلالته فمن خلال جهاته المختلفة تُراقب مشهد البحيرة الساحر بالكامل وكأنك علي متن باخرة تعبر بين جزيرتين هناك في النصف المسالم من العالم حيث كل شيء هادئ وملهم.

كان في انتظارها ثلاث سيدات طرقن باب الثلاثين منذ بضعة أعوام، متآنقين في الملبس يجلسن في رزانة يتناولن مشروبهن بحساب وكأنهم يتطبعن بتقاليد عائلات ملكية عتيقة، ألقت عليهم السلام بعذوبة لتجني كلمات الترحيب والإبتسامات في تؤدة، يجلس الأربعة في محيط دائري جعلته سارا

أريسون متصل بحضورها علي مقاعد مريحة المضجع وفي المنتصف منضدة زجاجية لا تفرض نفسها كثيرا علي المشهد.

رمقت سارا بنظرة حماسية ملؤها الفضول ثم أخبرت الجميع مازحة: إحداهم ستُبكينا إليوم أيضا.

هذه فيرونكا وكما أخبرتهم عن نفسها في جلسة سابقة أنها تنحدر من عائلة أرستقراطية عتيقة في براغ تُعرف بتوجهاتها السياسيه المُثار حولها بعض الشكوك لدي الكثير لكنها وجدت لنفسها طريقا مغايرا غير توجهات العائلة.

فيرونكا هي الصديقة المقربة لـ رومان ابن أحد أكبر رجال الأعمال في أوروبا، ولأن فيرونكا تعني الفوز ولا شيء غير ذلك كانت فتاة تتوقد ذكاء، خصبة الحيل، صعبة الخداع ولا يهدأ لها بال حتي تصل إلي مُبتغاها دائما، تولد لديها هي ورومان حلم أن يصبح وزيرا للأقتصاد في بلاده لخبرته الواسعة في هذا المجال وما تَشربه من أبيه أيضا، عملت فيرونكا من جهتها بجد علي ذلك، نظمت العديد من الحفلات دعت فيها الكثير من رجال الصحافة والمجلات المؤثرة واسعة الإنتشار، قطعت معه عشرات الكيلو مترات لتظهر بجانبه في المؤتمرات السياسية دائمة الإنعقاد وفي وقت وجيز بحسنها، فتنتها، لباقتها وقدرتها علي جذب الأنظار تصدر رومان عناوين الصحف وأصبح مهيأ بالفعل كي يشغل منصب هام داخل الحكومة لكن وبطريقة مفاجئة تذكرت الصحافة تاريخ عائلة فيرونكا لتقف عقبه أمام رومان الذي أصبح علي بعد خطوة واحدة من تحقيق حلمه فلم تجد منه إلا أن تبرأ منها وأعلن أنها لم

تكن ضمن مخططاته المستقبلية يوما لتتحول فيرونكا من تلك الفتاة التي تطاردها الصحافة وتُضاء في وجهها أضواء الكاميرات أينما حلت إلي شبح كُتب عليه أن يسكن حجرات الظلام..

مملكة من الأحلام إنهارت في وجهها، تلاشي كل شيء بطريقة مفاجئة وقاسية لتظل حبيسة غرفتها عدة سنوات تحاول التعافي النفسي وتَقبل ماحدث..

لفيرونكا بشرة أوروبية بيضاء لكن رغبتها بإكتساب بعض السُمرة بفضل آشعة الشمس جعلتها تتناغم مع شعرها الأسود الكثيف، وجهها اتخذ شكل طولي وزعت عليه قسماتها الدقيقه، عينيها واسعتين واثقتين دائما ووجنتيها إمتلئتا لتناسب ذلك الوجه الفاتن، تجلس علي يمين سارا مرتدية قميص أبيض نسائي وجيب أسمر يرسم خصرها المثالي ويمتد للركبتين، واضعة القدم إليمني فوق إليسري في كبرياء ورهبة خُلقت معها.

قالت أخري ردا علي فيرونكا: يإليت كل شيء ينتهي بالدموع فقط.

هذه لينكا وكما أخبرتهم عن نفسها في جلسة سابقة أنها الفتاه الوحيده لأب مولع جدا بتسلق الجبال، يصرف العديد من الأسابيع التي ربما تمتد لأكثر من شهر في تسلق القمم الشاهقه مجازفا بروحه في قهر جبالا لم تطأ عليها قدم إنسان قط منذ إن تكونت عبر ملايين السنين.

لهذه الهواية أثر الإدمان في نفوس محبيها، إنها ليست رياضة وفقط علي حد تعبير الأناسي بل لها أمورا أبعد بكثير مما يعتقده العامة، أن تُنفق أيامك في وحدة مستمرة رابطا إياها بهدف مثل راهب متأمل، أن تٌصادق

الشمس التي لا تبرح أن تزور خيمتك المتنقلة كل صباح أن تتعرف علي شخص جديد هو أنت، أنت الذي أهملته بتجاهلك له في كل مرة تطالعه في المرآة دون أن تُلقي عليه حتي السلام، أنت الذي حقرت من قيمته في كثير من الأحيان من أجل أمور دنيوية رخصية أنت الذي فرضت عليه سجنا بيولوجيا داخل جسدك مانعا إياه من التحليق في فضاءات الكون المعنوية، إنها لأشياء تُعيد إليك طور الإنسانية في فجرها الأول لتهذبك وتثقل من حكمتك إنها تعيد بعثرة أفكارك من جديد، تنسف ظلمات روحك لتزيل ذلك الخفوت الذي يكاد أن يطفئ مصباحك الداخلي الذي ينير ثنايا روحك غير متأثر بعواصف الحياة وعراقيبها، إنها ولادة جديدة علي يد الطبيعة ألا يستحق ذلك المجازفة والعناء؟.

بعد أن اتقنت بعض التمارين الفيزيائية التي من شأنها إشتد عودها وقست ملامح وجهها وجعلتها مؤهلة تماما لمرافقة أبيها في إحدي رحلاته التي تضمنت مجموعة من أصدقائه المهوسون بهذه الرياضة والموثوق بهم أيضا.

إنه جبل البروس، بركان خامد مغطي بالثلوج وهو أعلي قمة في سلسلة جبال القوقاز الواقعه بين غرب أسيا وشرق أوروبا، بدأت الرحله في أول أيام أغسطس حيث مازال يسمح بالصعود إلي القمة، لينكا متصلة بحبل يرتكز حول خصر أبيها الذي يقود المجموعة في المقدمة، الأكثر خبرة هنا هو من يتولي القيادة وهذا متفق عليه، بدا الأمر لـ لينكا وكأنها نُزهة. التنفس معتدل و التسلق يسير علي الأقدام يأتي الليل لتُنصب خيام المبيت التي سيطرت عليها الألوان النارية عندما تضاء بداخلها الأنوار لتبدو من بعيد وكأنها كرات

لهب سقطت توا من الفضاء واستقرت علي الثلوج البيضاء وسط ملايين النجوم في السماء تُطالعها في تأمل وتطل عليك في تألق، لا شيء يحجبها عن عينيك فلا وجود للتلوث هنا، رائحة خشب البتولا والصنوبر المحترقة للتدفئة، المشهد بالكامل يلطف من المشاعر ويبعث في نفسك معان جديدة للسكينة، تأتي الشمس معها بالصباح لتُستكمل الرحلة مجددا حتي مر الأسبوع الأول في سلام، المجموعة تحافظ علي أعضائها في ترابط وأمان..

هنا أحد أجزاء الرحلة الصعبة، في منتصف الجبل تقريبا هناك قمة يتوجب علي الجميع تسلقها بالحبال ومن ثم يمكنهم استكمال التسلق علي الأقدام مجددا، الأمر يسير علي نحو رائع لكن حدث ما لم يُتوقع، علي غير العادة الشمس تشتد ساعة بعد الأخري لترتفع درجات الحرارة إلي الحد الذي يسمح بذوبان الجليد علي القمة وهذا أمر يُعد نادر حدوثه في هذا التوقيت من العام، ولأن لكل رحلة مخاطرها التي عادة ما يتخطاها المتسلقين بخبراتهم السابقة تم الإتفاق علي إنهاء الجزئ الخاص بالأحبال أولا علي أن تتم متابعة السير مجددا في فترة ما بعد الظهيرة لكن الخطر كان يدق أسرع مما يعتقد الجميع فالإسراع في عملية التسلق أمر يجيدونه لكن لا يمكنهم ايقاف ذلك الجليد المتساقط من القمة..

رائحة الثلج المحايدة أصبحت نفاذه يستنشقها الجميع فأخذت تشبه رائحة ماء البطيخ او الخيار الطازج وفي بعض الأحيان رائحة الحديد، يبدو أن إرتفاع درجات الحرارة أدي بدوره إلي نشاط الطحالب أحادية الخلية أو الطحالب الثلجية القابعة علي القمة متعددة الطبقات، ذرات الثلوج

يشعرون بها الأن علي وجوههم تعزف بطريقة عشوائية علي غطاء الرأس وملابسهم لتتحول من ذرات إلي كتل تزداد في الحجم بمرور الدقائق ليزداد معها التوتر شيئا فشيئا، الأمر من بعيد أشبه بسباق بين قوة الطبيعة و قدرة الإنسان علي مجاراتها والهرب.

قام أحد أعضاء المجموعة بالإبلاغ عن كارثة يمكن أن تحل بهم فالأمر لم يعد يحتمل المجازفة أكثر واذا نجحوا في تخطي تلك المرحلة سيتم إلغاء المغامرة فورا و العودة.

وسط أصوات ناقوس هذا الخطر الداهم، كان والد لينكا منشغلا بأمرها كثيرا حتي تمكن من إبقائها في مأمن داخل تجويف صخري صغير احتوي جسدها بالكامل فهي لم تصل لتلك المرحلة بعد من حُسن التصرف والتعامل في مثل تلك المواقف، الأحبال مُثبتة بطريقة مُحكمة لكن الكتل الثلجيه كانت تنهار في تجمعات وتجرف معها كل شيء للأسفل، لينكا تُردد الدعوات في خوف لكن أخر ما رأته من والدها أنه كان يلوح لها بيده كي تبقي حبيسة مكانها قبل أن ينتهي كل شيء في ثوان فقد أخذ الجليد المتساقط معه كل شيء للأسفل وأبقاها وحيدة في منتصف الجبل حتي أتت المساعدة لكنها في هذا إليوم كانت قد فقدت أبيها رفقة مجموعة من أصدقائه المقربين..

لينكا تمتلك جسدا ذا بنية قوية لكن هذا لم يؤثر علي أنوثتها ورقتها فهي وبالرغم مما حدث في ذلك إليوم البعيد مازالت تمارس هذه الرياضة حتي إليوم وأتمت تسلق العديد من الجبال في مناطق عدة حول العالم بنجاح..

تجلس أمام سارا فقط تفصلهم تلك المنضدة الصغيرة بينهم، يسيطر عليها الهدوء والعذوبة في حركاتها وابتسامتها وكأنها تطبعت بطباع الثلج.

قالت الثالث' بنبره تحمل الجميع علي التفائل: لا مجال للبكاء والعويل ، الحياة دائما تصرف لك أياما جديدة والأفضل ينتظرك.

هذه سابينا وكما أخبرتهم عن نفسها في جلسة سابقة أنها تخرجت بدرجة الأمتياز طوال سنوات الدراسة في مجال علوم التجارة والحاسب الإلي، تفوقها ومثابرتها علي النجاح ساعداها علي أن تشغل منصب هام في شركة تمتلك أكبر مصانع انتاج المواد الثقيلة في البلاد وفي وقت قصير تدرجت بحسن تصرفها واجتهادها إلي أن أصبحت المسؤلة المباشرة عن علميات الإنتاج والبيع والشراء في حال تواجد مالك هذه الشركة بالخارج وما أكثر رحلاته.

شهدت الشركة في عهد سابينا علي أكبر إيراداتها علي الإطلاق، أزعج هذا بعض المنافسين خاصة من دول شرق أوربا فباتت تصلها رسائل تهديد كثيرة لكنها كانت لا تولي اهتماما كبيرا فهذه أمور تحدث كثيرا في هذا المجال، نجحت سابينا في إنهاء بعض الصفقات الكبيرة والتي من خلالها ستقوم مصانع شركتها بإنتاج العديد من المواد الثقيلة والتي من شأنها جعلتها تحتكر السوق القاري بأكمله لكن مع كل صفقة كبيرة كانت تزداد عليها الضغوطات أكثر وأكثر وهذا ما جعل التنافس يتخذ أشكالا غير قانونية يجب أن تمارسها كي تُبقي علي ضمان استمرارية شركتها في القمة فقررت أن لا تخوض حروبا مع الأغيار كهذه خاصة أن مالك هذه الشركة لا يتردد بأن يزجي بها في العديد

من المخاطر مقابل المزيد من إليوروهات مكتفية بما حققته في مسيرتها الإداريه حتي الأن.

تحينت سابينا الوقت المناسب عند وجوده داخل البلاد كي تخبره بما إهتدت إليه من قراركانت قد اتخذته منذ مدة وأصبح تنفيذه واجب الأن وهو التقدم بإستقالة نهائية غير قابلة للنقاش أو العودة.

الأموال وحدها لا تكفي، كان النجاح في مكان آخر بالنسبة لها أكثر غواية فهي لم تصل لهذه المكانة محض صدفة، ما ستحققه بطرق غير شرعية قادرة علي تحقيق أضعافه بمجهوداتها الذاتيه في جو تنافسي يُظهر قيمتها الحقيقيه ويبرز مجهوداتها الكبيرة.

إعتقدت سابينا أنها ألقت ما كانت تحمله علي كاهلها من مسؤليات وضغوطات بإستقالتها هذه لكن ما ان مر يومان حتي صُعقت بهذا الخبر، رجال الشرطة يخرجونها من البيت بتهمة قتل مالك الشركه وكانت آخر رسائله لها: لا تفعلي بي هذا..!.

إعتقد الجميع انها دبرت جريمة قتلة بهدف الإستيلاء علي الشركه بعد أن أعطي لها حق التصرف فيها أثناء عدم وجوده داخل البلاد وكانت هذه الرسالة الأخيرة التي بعث بها إليها دليلا قويا علي إدانتها وأنها الأكثر استفادة من هذه الفعلة.

قضت سابينا سبعة أعوام في السجن، أذابت فيهم أكثر سنوات عمرها توقدا واشتعالا، جعلتها تؤمن أن الإنتحار شيء يمكن التفكير فيه وبجدية، إرتأت أن العودة إلي تلك النقطة حيث اللاشيء هو الخلاص بعد أن بدأ منها

كل شيء حيث انفجار روحها العظيم تعيده إلي الماضي حيث لم تكن متواجدة من الأساس ليسود عدمها في فضاءات الأرواح مجددا فأقدمت علي الإنتحار عديد المرات بطرقا مختلفة ليتم إنقاذها منه في كل مره وكأن قوة جاذبية الحياة إليها أكبر من قوة الوصول للعالم الآخر وبالفعل صرف لها القدر حياة جديده..

تم إلقاء القبض علي رجل يُنفذ جرائم القتل بإحترافية عالية لكنه سقط في يد الشرطة هذه المرة يحمل معه سبعة عشر صورة لرجال ونساء قام بقتلهم بطرق مختلفة حيث يتم تأجيره علي الإنترنت في مهمات متتابعة، كان من بينهم هذا الرجل مالك الشركه حيث أعترف أن بعض رجال الأعمال من مناطق متفرقة طلبوا منه قتلة وترك رسالة هاتف نصيه أخيرة له بهذه الطريقة ليتم إدانة الطرف الأكثر إستفادة من ذلك وهي سابينا مديرة شركته التي كانت تقف عقبة دون الوصول لأحلامهم.

لم ينتهي الأمر عند إطلاق سراح سابينا بعد أن فقدت سبع سنوات من ربيع عمرها بل وجدت نفسها مالكة لهذه الشركة بحق إدارتها والتصرف فيها إلي الأبد.

سابينا تجلس علي يسار سارا، ترتدي زيا أشبه ببدلة رجال الأعمال لكن ذات طابع نسائي، تعقد شعرها الأشقر إلي الخلف، وتلهوا الإبتسامة دائما علي وجهها في سلام لتشعرك بأنك تعرفها منذ سنوات فهي من مَن يمتلكون تلك الحالة الودودة دائما..

********

# الفصل الثاني

## منهاتن - الولايات المتحدة

تقام الصلوات وتعلوا في الآفاق الترانيم، تُنشد بوجوه متوسلة وتتلي بأصوات متضرعة متجهة نحو السماء حيث مسمع الإله، كلا غارق في خطاياه يرتجي العفو والمغفره والتخلص من الآثام وبدأ عام جديد بيضاء صحيفته، إنه يوم الغفران حيث ينثر الإله علي الكون فيضا من رحمات حتي ان رجال الدين يبكون.. رحماك ربي رحماك..

بوجه أبيض مطهم ووجنتين ورديتين تضاهيان رقة ذوبان الثلج في ملمسهم، تتشح عن أنظار الجميع بغطاء رأس لرداء أسود احتوي جسدها بالكامل، تقف بإنتباه تام وبإيمان عميق تتلوا بعض الصلوات ليمر بها الوقت دون اكتراث لدقائقه وثوانيه حيث تملكتها حالة من اللازمكان.

تعامدت آشعة الشمس بالخارج ليسقط ذلك الشعاع الذي وجد في سقف المعبد المهمل صيانته منفذا لينتشر بخفه داخل أرجائه، طالعته بإنفعال المندهش لتكشف عن عينين بنيتين براقتين تتلألأ بداخلهم بعض العَبارات الصغيرة التي وقفت علي حدود جفنيها دونما سقوط لتعلن عن مشاعر متأججة مازالت تبحث لها أيضا عن منفذ داخل هذا الجسد الذي علي ما يبدو تعتليه الآلام..

إمتقع بياضها الثلجي ليصطبغ لون الحمرة الدافئ علي وجهها، هذا ما تفتعله بها أية تغيرات دخيلة علي روحها تعبث بسكونها وصفائها في لحظات كتلك، وكأن هذا الشعاع سقط علي روحها وليس علي سقف المعبد باعثا بداخلها بعض السكينة كالحظات تنوير إلاهية تخطف روحها لتمددها وتصبح كخيط رفيع شفاف يحمل في جوهره سرها المقدس متصلا بقلبها ويصل مداه إلي السماء مناجية بصوت هامس: أيها الرب العظيم بقدرتك اللا محدودة أسئلك أن تحمل روحي إلي أعإلي السماء، تحلق مبتعدة عن تلك الأرض وشريعتها الموحشة، أيها الرب الكريم بتقتي بك اللا متناهية أن تحفظ أبي وتحمل له من عطاياك ومسراتك المباركة فيضا لا ينتهي وتُعينه علي مرض السكري. آمين..

قاطعها صوت أبيها: جولي..!، أيمكنك الإنضمام إلينا قليلا؟.

ليقتلعها من تلك الحالة الروحانية ويبدل سريرتها من المناجاة الإلهية السماوية إلي الإنحدار نحو المعاملات البشرية الأرضية ، محت أثر أدمعها التي لم تكن سقطت بعد بسبابة يدها إليمني، أرخت غطاء الرأس علي كتفيها ومضت إليه قدما، كان واقفا رفقة أصدقائه من الحاخامات يتبادلون أطراف أحاديث تدور تارة حول تجديد سقف المعبد الذي إستبد به الضعف والتهالك منذ زمن و تارة أخري حول القيام بالعليا (كلمه عبرية تشير إلي هجرة إليهود للأرض المذعومة بإسرائيل بغرض الإستقرار بها) الأمر الذي دائما ما يتم تأجيله للعام التإلي لكن هذه المرة تدرك جولي ما يدور داخل رأس أبيها،

الشيء الذي ألمح لها به عديد المرات من قبل وقد بدا لها جليا الأن لكنها دائما ما كانت تجيد الهرب منه..

بفخر الأباء قال: هذه ابنتي جولي، تخرجت من جامعة نيويورك للفنون هذا العام.

علي الرغم من أن الجميع لديه سابق معرفة بها إلا أن تقديمها إتخذ طابعا رسميا حيث وزعت عديد من إبتسامات الترحيب وأثني عليها الجميع لطيب صيتها الذائع بين يهوديات الجامعة أو ربما هذا الصيت موروثا عن سمعة أبيها الواسعة والتي كونها في وقتا قصير فمن من بين يهودي منهاتن لا يعرف متشل أريسون أو حتي سمع عنه من قبل.

بدون مقدمات أشار والدها إلي شاب يقف بين صحبته علي إستحياء لم ينبس ببنت شفة بعد حتي قدمه لها: هذا ليون أحد شباب المعبد الأوفياء.

أومأ ليون برأسه مرحبا بإبتسامة..

تابع أباها: أرها يا ليون ما أنجزناه من أعمال حتي الأن.

بهذه الفعله كان أباها قد أقحمها في نزهة مفاجئة مع هذا الشاب الذي لم تكن قد رأته من قبل، أثار هذا من إستيائها كثيرا لكنها لم تبدي علي وجهها منه أثرا..

إتجها نحو الخارج في جولة داخل أرجاء الحديقة المرفقة بمحيط المعبد والتي تمت توسعتها لتستوعب أعداد المكترين في مثل هذه المناسبات. بدا ليون في غاية الهدوء واللباقة فاستشعرت علمه المسبق بأمر ما يجري الأن، قام بسؤالها: كيف وجدتي المعبد هذا العام؟.

إصطنعت الإبتسام وأخبرته علي مهل: أنجزتم الكثير، الجميع يمكنه رؤية ذلك..

صمت ليون لعلها تخبره المزيد.. لكن بلا طائل فأخبرها أيضا: هذا كله بفضل أباك، إنه رجل عظيم حقا ويعمل بقلبه من أجل المعبد.

تابع: وما كانت نوع دراستك في الجامعة؟!

توالت أسئلة ليون علي هذا النحو التقليدي لكنه لم يجد من أجوبتها إلا القصير المختصر فإدراكها بأنه يعلم عنها الكثير مسبقا لم يثر من حماستها كي تخبره المزيد..

في حقيقة الأمر ليون يبدو شخص مثإلي، يمكنني القول أنه مثإلي للغاية دون مبالغة وهذا أمر مزعج، مزعج جدا أن تكون مثإليا للغايه فطبيعتنا البشرية تنفر فور إدراكها ذلك، هو أيضا ذلك الشخص الذي يثير الإعجاب لدي السيدات ويكن له الأباء كل الإحترام، يفعل الأشياء دائما بالطريقة الصحيحة التي تُرضي من حوله بلباقته وذكائه فيجد منهم الثناء والتقدير الأمر الذي دفع ميتشل أريسون بالتفكير جديا حيث رأي فيه زوجا مخلصا لإبنته ورجلا وفيا يستند عليه بعد أن إشتد عليه الزمن ووهنه، ليون شخص جديرا بذلك بدماثته وحسن خلقه، إنه حقا فتي رائع في نظر والدها.

دائما ما يكون للأباء تلك النظرات التقليدية في أمور الزواج، يرون الأشياء بخبرة السنوات دون إعتبار لرغبات الأبناء التي تحيكُها متطلبات كل عصر إلي أن تحين نقطة الإصطدام ليقف الجميع فريقين فيبدأ صراع الحداثة والتقليدية وهذا ما تشعر به جولين من الأن.

للعقل أسبابه التي من شأنها لا بد أن تكون مقنعة لكن أسباب القلب ليس لها مبررات لذلك أؤمن دائما بأنه في بعض الأحيان من الممكن أن لا نبدي أسبابا للرفض، يمكننا قول كلمة "لا" دون مبررات وعلي الأخرين تفهمها هكذا مثلما قيلت خاصة في تلك القرارات التي تتعلق بالشخص الذي سنجتاز معه اختبار الحياة، فالحياة ليست معادلة رياضية نتيجتها ملزمة التحقيق في كل الأحوال، نعم ليون رائع لكن إذا وضعناه في معادلة أبيها ولكل منا معادلته الخاصة، إنها المشاعر الإنسانية إذا ليس لها قوانين تحكمها مثل أمواج البحر تهدأ وتثور دون توقع، ترويضها مرهق وقمعها مستحيل فقط تهتدي إلي ما تريده في النهاية.

قاربت شمس الغفران علي الغروب تبدلت معها المشاعر من التوسل والتضرع إلي أجواء إحتفإلية مرحة تغلغلت داخل النفوس فأعادت احيائها مرة أخري ليشعر الجميع بخفة هامته علي الأرض بعد أن كانت مثقلة بالهموم والخطايا حيث بدأوا ينشدون الصلوات وينظمون الترانيم بطرقا مختلفة إلي أن انتهي يوم الغفران بسلام.

********

في صباح إليوم التإلي، جفلت جولين علي مرقدها مستيقظة في حنق علي صوت ضجة كبيرة في الخارج، إقتلعتها من نوم هانئ وزرعتها في واقع غير مراع للشعور جعلتها تتسائل: ألا يمكن للمرء أن يحظي ببعض الهدوء والسكينة صباحا؟، وإلا فكيف له أن يُكمل الباقي من يومه؟.

أغمضت عينيها في طمئنينة وأقحمت روحها في حالة إستشعرت بها السكينة وبإرتياح أخذت علي مهل تتمتم: أقدم إمتناني لك إلهي الحي والملك الخالد بعد أن أعدت لي روحي برحتمك، ثقتي بك كبيره.

غادرت السرير، إزاحة ستار النافذة، إنهم الجيران هؤلاء المجانين المهوسين دائما بفصل الصيف يحزمون الأمتعة لإستقبال موسم جديد منه في النصف الآخر من الكرة الأرضية، إنه شيء متوارث بينهم أضفي علي هذه العائلة الكثير من الغرابة علي مدي عقود عدة وأجيال متتابعة يأثرهم الصيف بطقوسه فيتبعون الشمس أينما أشتدت، خَلف ذلك الكثير من التكهنات حولهم وما البشر إلا محبي إختلاق الحكايا أكثر من أن يسبروا أغوار الحقيقة ذاتها، بعضهم قال أن عظامهم لا تحتمل تلك الأجواء المتجمدة واستشهد بأصولهم الإستوائية الجنوبية وأخر قال أنهم يعتنقونها كديانة مثلما يحدث في بلاد الهند وبعضهم حلق مبتعدا بمخيلته فاعتقد أن قديما ومنذ أكثر من قرن كان هناك رجل دين له علاقات بالعالم الآخر ولسبب ما بنية شريرة ألقي علي أجدادهم تعويذة في إحدي ليال الشتاء الباردة أحلت بهم لعنة توارثتها العائلة حتي بات إرتباطهم بالصيف هو النجاة والخلاص من عذاب يوشك أن يحل بهم إن لم يفعلوا ذلك.

من يصدق ذلك الأن غير أنه العقل البشري يستهويه قول خرافة دائما.

أغلقت ستار النافذة مجددا، أدارت مشغل الموسيقي علي عزف بيانو منفرد هادي وملهم، إتخذت أمام مرآة كبيرة متعددة الجوانب في إحدي زوايا الغرفة موضعا جيدا للجلوس وأخذت تحرك بيدها أصابع قدميها لتزيد من مرونتها أكثر وكأنها تدب فيها الروح والحياة من جديد، مددت ذراعيها حول رقبتها بالتبادل لعدة ثوان ثم أطالة احدي قدميها بمحاذاة أرضية الغرفة تميل بجسدها وذراعيها الإثنين في رشاقة وليونة احترافية مُتقنة نحو أطراف قدميها ثم كررتها بنفس الكيفية مع القدم الأخري أيضا، ذلك الروتين إليومي المعتاد و المحبب لها كل صباح والذي إعتادت أن ينهيه لها أباها قائلا بصوت عال: هيا، الفطور جاهز يا ابنتي..

علي منضدة تتوسط غرفة المطبخ جلسا يقتسمان طعام الفطور في هدوء، يسترق كل منهم النظرات للآخر علي إستحياء، كلاهما يلعك بعض الكلمات التي يود أن يوجهها للآخر داخل فمه ويمزجها مع فتات الطعام المنسحقة، جولين تتأهب لحوار منتظر قادم لكن أباها ميتشل أريسون رجل فطن لطالما يمهد الطرق لنفسه قبل الخوض فيها فقام بسؤالها: وكيف تجري الأمور معك الأن ؟.

كان الغرض من سؤاله هذا أن يتفرس ما يدور بداخلها وليست ما ستخبره به من ردود اعتيادية تصف له حالتها كما تجري العادة، ما سينطبع علي وجهها فور الإنتهاء من سؤاله من مكنونات نفسية تحاول جاهدة أن تخفيها، لطالما أرادها فتاة شفافة يَطلع علي مخبآتها الفكرية متي شاء لكنها

تعي ذلك جيدا وهذا ما صنع بينهم تلك العلاقة المَقصية الصدامية حيث تَفضي بينهم النقاشات إلي اللاشيء في كثير من الأحيان.

أجابته منشغلة بتناول الطعام: لا جديد غير أنه إليوم الأول في العمل كما تعلم.

هذه ليست الإجابه التي يريدها ميتشل أريسون بالتأكيد، توقف عن إلتقاط الطعام وكرر سؤاله هذه المرة بطريقة مباشرة: ليون فتي رائع إليس كذلك ؟.

منشغلة بتناول الطعام مرة أخري: أنت تعلم عنه أكثر مني.

صاح بنزعة الأباء: جولين أنا اتحدث معك.

لتنظر إليه بإنتباه ثم يعود إلي هدوئه قائلا: أنا أخبرك بأنه فتي رائع ومناسب جدا لكنك لم تلاحظي ذلك، رأيتك كيف كنت تتجاهلين محاولاته.

ثم بطريقة حاسمة يخبرها: لقد طلب مني الخروج معك غدا وأعطيته موافقتي.

ثارت جولين في استياء: هذه المرة الثانية التي تقحمني معه في نزهة، ألا يمكنك أن تري أنني رافضة حتي الحديث عنه، هذه ليست تقإليدنا.

- تعلمين أننا لا ننتمي إلي تلك الطوائف المتشددة إليس كذلك ؟ كل شيء يحدث بعلمي كما أن ليون في طريقه لأن يكون رجل دين أيضا.

صمتت للحظات لتعيد ترتيب أفكارها ثم أهتدت إلي: حسنا، سأكون في الموعد ولتعلم أنني سأفعل كل شيء بوسعي لأتقبله لكن ان لم يطرأ أي جديد عدني بأن ننسي أمره.

عاد بظهره يستند علي كرسيه بإرتياح ثم أخبرها بثقة ممازحا: ليون..!، يا لك من محظوظ، ستسرق مني قطتي المتوحشة.

حاولت جولين أن تواري ابتسامة المندهش الخجل التي عصفت بتفاصيل وجهها لكنها لم تفلح ثم قالت مُتقبلة الأمر: تفوز هذه المرة يا أبي

أخذ يقهقه مستمتعا بلذة إنتصاره وهم بالمغادرة لتتمتم جولين بتحد: حسنا يا ليون..! سأنتهي منك قريبا.

إنه إليوم الأول في العمل حيث ستقوم بتدريس فن البإليه الكلاسيكي الذي قامت بدراسته داخل أروقة وصالات جامعة نيويورك للفنون وأتقنته عن ظهر قلب، ذلك الحلم الذي سرقته من الحياة والسعادة التي تنتشي بها، إنه بمثابة ضوء شمعة تحاول أن تبقيه مشتعلا في وحدتها المظلمة..

في صالة كبيرة مستطيلة لها عدة مدرجات جانبيه ذات أربع جهات، ثلاث منها مثبت عليها سواند خشبية والجهة الأساسية تحتلها مرآة كبيرة بطول وعرض الحائط..

هنا تنسلخ عن واقعها وتعثر علي نفسها التي تفقدها بالخارج، إنها ملاك وعندما ترك السماء نزعت عنها نواميس الأرض أجنحتها وعلقت شوائب الإنسانية بروحها فكان البإليه هو ملاذها حيث تستطيع رؤية أصلها الملائكي في ذلك الزي الرقيق وحذاء الرقصات الذي يزرعها بخفته في أرض من رؤي وأحلام، تنساب موسيقي البيانو في ثنايا روحها لتنفخ فيها روح الإحساس والإبداع علي هيئة إنحناءات وميلات تجعل من جسدها وروحها نسيجا واحد مطاطيا تشكله دقة الحركات والإندماج التام مع الموسيقي، إنها

الفراشة تحلق وتتألق في موسمها الربيعي المميز..

دخلت صالة البإليه تتأملها للمرة الأولي، الصغار بين سن الثامنة والعاشرة بعضهم يحاول جاهدا تقليد بعض حركات علقت في مخيلتهم والبعض الآخر يقوم بتمارين المرونة والإحماء، تفاجأت جولين بفتاة تقاربها في العمر وقد إنتصبت أمامها بغتة وعلي وجهها إبتسامة عريضة كشفت عن مقوم أسنان مثبت داخل فمها، قالت في فرح: هذه أنتي جولين.

بادلتها الإبتسام قائلة: نعم.

- وانا زوي. مُرحبة بها

تنقلت جولين بعينيها تتأمل تفاصيل المكان فانتبهت إلي فتاة أخري في احدي زوايا الصالة منشغلة بتصليح بعض أوضاع الصغار فتبعتها زوي قائلة بنبرة تملؤها الأسف: وهذه كينيدي أيضا. إلي أن جاءت هي الأخري مرحبة بها وبشيء من البرود قالت: هذه أنتي، أهلا بك. في غرابة شديدة..

بدت زوي فتاة غريبة الأطوار، غير مسيطرة علي مشاعرها المضطربة والمترعة أيضا حيث أظهرت مودة كبيرة واهتمام زائد تريد مصادقة جولين منذ اللحظة الأولي.

عادة ما يسعد بالوافد الجديد الشخص الأكثر مللا ونفورا من المكان أملاً في إعادة ملء شغفه أو أن يجد معه ما يعينه علي التحمل والإستمرار بطاقة أكبر في ساحة العمل.

إستقبال كيندي البارد لها وما حاولت زوي تسويقه عنها حينما قدمتها بأسف أثار مخيلتها للحظات وأطلق في ذهنها عدة تساؤلات لكن سرعان ما

تَناست ذلك فلا شيء يستدعي الإهتمام في إليوم الأول سوي التأقلم والتطبع بروح المكان الذي ستلازمه لساعات عدة في يومها هكذا عاهدَت نفسها فليس من السهل إيجاد عملا كهذا خاصة أن البإليه لا يستهوي الكثيرين إليوم والمركز يتوسط منهاتن وليس ببعيد عن المنزل، تمارس فيه هوايتها المفضلة مع صغارا لا يكفون عن ملئ الأجواء بالطاقة والمرح دوما..

مرت الساعة الأولي تاركة مسامعها لـ زوي تلقي بها من الملاحظات والأحاديث التي لا تنقطع حتي إقتحم المكان رجلا بدا في الثلاثين من عمره ذا بنيه رياضية قوية، لاينقصه الطول وجاذبيته لا يمكن إنكارها ظل واقفا يراقب المشهد من بعيد..

الثلاث فتيات تفرقن بين الصغار الذين أخذوا بنظام يؤدون حركات منسجمة مع صوت البيانو وكيندي قائلة في تتابع: واحد.. اثنان.. ثلاثة

ثم تكرر الحركات مع صوت البيانو المعاد وكيندي ثانية تتبعهم في نظام: واحد.. اثنان.. ثلاثة

إلي أن أوقفهم ذلك الرجل بتصفيقه للعرض، مالت زوي تخبر جولين هامسة: أنه مستر أدم ميتيل مدير المركز.

مقتحما الصالة يتدافع نحوه الصغار فرحين برؤيته وما إن إنتهي منهم أدار وجهه إلي الوافدة الجديدة جولين تفرسها لثوان ثم قال مستعرضا وسامته: المنافسة لم تكن سهلة، تقدم الكثير لكنك كنت المرشح الأوفر حظا. تعجبت كثيرا من هذه الكلمات لكنه سرعان ما إلتفت إلي زوي قائلا: كيف حالك أيتها الجميلة. لتنهار خجلا بإبتسامة مقوّم الأسنان البلهاء لكن سرعان

ما تخفيها بوضع يدها علي فمها.

ثم وجه نظرة إلي كيندي التي رمقته بنظرة إستياء وغضب جعلته يخبرها: كيندي أريد رؤيتك بعد انتهاء حصة إليوم.

إنتهي إليوم الأول لكن لم تشأ أن تغادر دون معرفة حقيقة ما أخبرها به بشأن تلك المنافسة التي لا تعرف عنها شيئا وما إن إقتربت من غرفة كُتب عليها السيد أدم ميتيل حتي سمعت صوت كيندي داخل الغرفة تصيح بعصبية: أبعد يدك عني.. أخبرتني أنك لن تجلب فتاة أخري

أخبرها شيئا لم يسع لجولين أن تلتقطه مسامعها..

عادت كيندي للعصبية مجددا: حسنا، إنس أمري الليله. وهمت بمغادرة الغرفة لتجد جولين منتصبة أمامها فصاحت في وجهها أيضا: لا تنظري إلي هكذا..!

أدارت جولين ظهرها للغرفة وهمت بمغادرة المكان أيضا وسط ذهول لما يحدث..

في الشارع لحقتها زوي قائلة: سيارة الأجرة أم عربات المدينة؟.

إنتهي بهم الأمر إلي إحدي عربات المدينة، لم تسيطر جولين علي فضولها الذي قادها للسؤال: ما الذي بين كيندي ومستر أدم ؟.

- أخبريني أولا أين تسكنين؟

أجابتها جولين: بالقرب من المركز التجاري.

- حقا..! وأنا أيضا..

وتابعت: لدي ما ابتاعه من هناك لذا سأصطحبك معي.

جولين في موافقه: حسنا.

صمتت زوي للحظات ثم عادة تخبرها: ذهبت باكرا في احدي المرات فوجدتهم يتناقلون بكتريا الفم معا.

رسم الإندهاش علي وجه جولين في عدم فهم..

زوي تحاول تقليد المشهد بضم شفتيها: هممممم. ثم انفجرت ضاحكة

- حسنا، فهمت ماذا تعنين.

في احدي الأقسام النسائية داخل المركز التجاري وقفت الفتاتان أمام درج يعرض عليه صدريات متعددة الأنواع والألوان، سحبت زوي اثنتين، واحدة من اللون الأسود وأخري من القرمز الغامق ثم قالت: لكني لا أعرف أي مقاس سيناسبني.

جولين في اندهاش: ألا تعلمين مقاس صدريتك؟!

- هذه الصدريات منزوعة المقاس لكني أثناء سنوات الجامعة كنت ارتدي من الفئة الثانية.

- وهل ازداد وزنك الأن؟

زوي في حيرة: نعم قليلا ، لكن لا تزداد معه مفاتني عادة.

جولين: لا أصدق أننا نناقش ذلك الأن.

زوي في شرود ينم عن حيلة ما: حسنا سيساعدنا الأكثر خبرة في ذلك الأن. وارتسمت علي وجهها ابتسامه شيطانيه

تنقلت الفتاتان في محيط هذا القسم حتي إهتدت زوي إلي شاب

جالس بالجوار وما إن إقتربتا لاحظت جولين تلك العبارة أعلي صدره الأيسر "مدير القسم" حينها إتسعت حدقة عينيها فاغرة فاها في اندهاش وسرعان ما عادت إلي طبيعتها..

زوي في ميوعة: مرحبا ماثيو. ثم تسائلت متصنعة الجدية: أجد صعوبة في الإختيار، أي هاتين مناسبة لي؟ واضعة القطعتين بطريقه مثيره أمام عينيه..

إنفجر وجهه ماثيو في حُمرة من غرابة فعلتها وسؤالها مستشعرا الحرج الشديد، إستغرق الأمر ثانيتين ثم أشار بيده إلي مكان ما وأخبرها في تلعثم: يمكنك تجربتهم هنا.

إنتهي بهم السير خارج المركز التجاري، جولين مستغربة الأمر: أرأيت كيف يضعون شابا في قسم نسائي كهذا..!

- سوق العمل الأن يجبر اي شخص علي العمل في أي شيء.

- لكنك قصدت أن تضعيه في هذا الموقف الحرج، إليس كذلك ؟

- أأخبرك شيئا؟

- حسنا أخبريني.

قالت زوي بسخرية: أنا أكثر الفتيات إمتلاكا لتلك القطع النسائيه في منهاتن.

حينها دخلت جولي في نوبة ضحك ثم قالت: وهو لم يفطن للأمر حتي الأن ؟

زوي تتنهد في قلة حيلة: نعم لكنني مازلت أحب ذلك الأحمق.

جولين مازحة: أعتقد بأن عليك التفكير جديا ببدأ مشروعك الخاص

لبيع تلك القطع. ليضحكا معا

بعد قليل من السير أشارت زوي إلي طابق في احدي البنيات قائلة: انا أقطن هنا، يمكنك القدوم لقضاء بعض الأوقات معا وأعرفك أيضا علي عائلتي الصغيرة. ثم ذهبت كلا الفتاتان حيث تقيم.

دخلت جولين المنزل تبحث عن أبيها وفي جعبتها العديد من الأسئلة تريد أن تبدد بها شكوكا وما إن وجدته في غرفته يمارس هواية القراءة ألقت عليه أهمها: كيف دبرت لي هذا العمل؟.

إعتدل في جلسته يتهيئ للنقاش: وما الفارق، أصبحت تمتلكين عملا

- الأن تأكدت ظنوني، ليس بهذه الطريقة يا أبي.

- عن أي طريقة تتحدثين، لقد تقدمت بأوراقك و أبغلوني أنه تم القبول.

- أتعلم هذه هي المشكلة تلك النقطة التي لا تراها دائما، أنا أريد أن أستحق الأشياء لا لأحصل عليها لأنك أبي، أنت تعلم أنه لا أحد يستطيع أن يقول لك " لا " في هذه المدينة.

- وهل تعاقبينني علي ذلك؟، هل من واجبي أن أراك تعذبين وبيدي كل شيء؟، يجب أن تكوني ممتنة للرب لأنك تمتلكين أبا مثلي.

فأخبرتْه وهي تغادر المنزل: الرب لا يرضيه ذلك.

- جولين أنا أتحدث معك، لا تتركيني هكذا، جولين.. جول..

نحن ندرك الحقائق عند نقطه محددة تمثل لنا محطة نهايه للأشياء لنبدأ في رؤيتها بطريقة مُغايرة عن ما عهدناه عنها ، يمكننا أن نطلق علي هذه

**النقطة : الوعي.**

**ميتشل أريسون الذي كان يمثل رمزا للمثإلية والحكمة في عين صغيرته أصبح رجلا عاديا يخطئ ويصيب في عين تلك الفتاة الناضجة الأن، يمكن أن تسيطر عليه أفكارا شيطانية في بعض الأحيان مثل باقي البشر، كم هذا مؤلم كحال كل الأبناء عندما يدركون هذه الحقائق وهي تنغرس بداخلهم، نعم الأباء أُناس عاديين ولطالما كانوا كذلك لكن عدسات الوعي ارتداؤها مؤلم في البدايات.**

********

# الفصل الثالث

## قرية بيت الكرامه - فلسطين قبل عشرين عام

انقطع التيار الكهربائي..

فعلتها تلك الشبكة المتهالكة مجددا، هذا يعني إنتظاره ما يقارب الست ساعات كما اعتاد أهل هذه القرية لكن النهاركان قد إنتصف مما يعني إنتهاء يوم عمال القرية وما أكثرهم بلا طائل في إنتظار أن تسترجع الشبكة قواها مرة أخري عند المغيب.

هذا الإعتياد عند أهل هذه القرية الصغيرة الواقعة عند خط المواجهة المحتمل تحول إلي روتين يومي تأقلم معه الجميع حتي أصبح للصباح أعماله التي يقومون بها بناء علي ما تمدهم به تلك الشبكة من طاقة أما النصف الثاني من إليوم فينقسمون بين من يبحث عن قوت يومه بالأعمال إليدوية وآخرين يجدون في النوم ما يعينهم علي مواصلة العمل عند عودة الكهرباء بالقرب من المغيب وحتي ساعات متأخرة من الليل، هكذا طبعتهم هذه الشبكة اللعينة.

جنح عامر بنفسه إلي تلة الأحراش يتواري بجسده خلف تلك الأشجار التي وجدت لنفسها بيئة مناسبة للنمو بعشوائية تستوطن هي الأخري مكانا لم يكن لها يوما.

التلة قاسية التضاريس، كثيفة الأشجار لكنها ليست علي ارتفاع كبير، تعلو تدريجيا عند السير فيها لتنتهي بك إلي قمتها تلك النقطة التي يمكن من خلالها رؤية أسوار مدينة القدس بوضوح إذا أجهدت حدقة عينيك قليلا كما يمكنك متابعة الحياة إليومية لبعض مستوطنات الإحتلال أيضا في مشهد يحمل من التناقض ما تأقلمت عليه أجيال عدة حيث سحابة واحدة تمطر هنا وهناك، شروق واحد تأتي به الشمس ليبدأ يوم جديد هنا وهناك، ذرات أكسجين يتقاسمون إستنشاقها هناك وهناك لكن هذا التشابه الصارخ بينهم يحمل في طياته كل الإختلاف بين هنا وهناك.

إعتاد عامر أن يرتقي التلة حتي قمتها في هذا التوقيت من كل يوم حاملا معه جهاز راديو صغير يعمل بأحجار تخزين كهرباء يحاول جاهدا ألا يفرط بإستنزافها قدر المستطاع يستقبل عليه إذاعات محلية عدة، محلية هنا تعني ما هو عبري أيضا حتي ان موجات الراديو يستقبلون أثير بثها هنا وهناك.

أدار بيده دائرة الإذاعات ليقف المؤشر عند موجة يلتقطها بقوة، المذيع الداخلي ينوه: أخبار الواحدة ظهرا من اذاعة القدس المحتلة.

ثم تُستهلك بعض الثوان في مقاطع من أغنيات فلسطينية حماسية..

يعود المذيع مرة أخري بالأخبار: إنهيار المفاوضات بين رئيس الحكومة الإسرائيلية ورئيس السلطة الوطنية الفلسطينية ياسر عرفات نتيجة خلافات حول توقيتات الإنسحاب الإسرائيلي المقترح من الضفة الغربية.

ثم يضيف: يذكر أنه كان قد توصل الطرفين منذ أعوام قليلة الى إتفاق

مرحلي يسمح بوضع أسس نقل المزيد من السلطات إلي الأراضي الفلسطينية..

يدير البحث عن الإذاعات مرة أخري فإذا بها إحدي موجات الإحتلال تبث أغنية عربية ذاع صيتها في هذا التوقيت لكن بكلمات عبرية يؤديها أحد المطربين وهو يحاول جاهدا تقليد صاحبها الأصلي لدرجه جعلت عامر يتخيله وهو يؤدي نفس الحركات والميلات التي يعرفها الجميع في النسخة المصورة منها.

حرّك مؤشر البحث مرة أخري يحاول إلتقاط أحد الإذاعات المصرية المتفق إقليميا علي بثها هنا وبعد أن اتخذ موضعا جيدا لها سمع صوت شويكار تقول: والأمريكانيه ؟!

ليجيبها فؤاد المهندس: حرمت أشوفها.

- والإنجليزية؟!

- خرجت من حياتي.

- والطليانية؟!

- معدتش تنفعني.

- يعني خلاص توبت ومبقاش حد في قلبك غيري.

- والنبي توبت وطلقتهم بالتلاته.

في مشهد من أحد أفلامهم يحمل وجهك علي الإبتسام..

أنهي عامر بحثه في عالم موجات الراديو عندما مالت الشمس إلي المغيب عائدا إلي القرية مجددا..

هذا التوقيت الذي ترتعش فيه لمبات الإضاءة معلنة عن عودة التيار الكهربائي ثانية حيث يذهب عامر إلي مشغل أخشاب الزيتون لمساعدة أبيه، تلك الحرفة المتوارثة عبر أجيال متتابعة في العائلة حيث يقومون بنحت أخشاب شجر الزيتون وتحويلها إلي تحف فنية منها ما هو خاص بالديانة المسيحية، يُصدر معظمها إلي دول أوروبية عديدة وهذا يرجع إلي توافر أشجار الزيتون بكثرة وقابليته للتشكيل والنحت جعلت منها صناعة شهيرة يقتات عليها عائلات كثيرة من أهل هذه البلدة.

عامر شاب لا يزال في العشرين من عمره، يحيا في منزل متواضع تهتم بشؤنه والدته التي لا تزال في أولي أشهر حملها الثاني أما والده لا يعرف شيء سوي هذه الحرفة التي يتقنها بأيد مبدعة حيث يصرف الساعات في المشغل لينجز الكثير من تحفه الفنية بمساعدة عامر الذي في طريقه لأن يتوارثها هو الأخر.

دخل المشغل ليجد أباه منهمكا في العمل علي تلك الآله التي تم جلبها مؤخرا، الآله التي طالما حلم بتوفيرها طيلة سنوات عدة لتختصر عليه الكثير من الوقت وتخفف من الضغط علي يداه التي نال منها التعب، كان صوت أم كلثوم ينبعث في فضاء المشغل، يدندن معه أبا عامروهي تقول..

كنت بشتاقلك وأنا وأنت هنا

بيني وبينك خطوتين.. خطوتيين

شوف بقينا ازاي انا فين

يا حبيبي وانت فين.. انت فيييييين

والعمل ، ايه العمل

ما تقولي اعمل اييه

والأمل ، انت الأمل

تحرمني منك ليه لييييه

إنتبه إلي وجود عامر فرمقه بنظرة ثم أعاد عينيه علي الآلة ثانية متسائلا: هل من جديد إليوم ؟.

عامر في أسف: فشلت المفاوضات، يبدو أنهم يخططون لشيء ما.

- هم دائما يخططون. ثم أضاف: يجب أن نتأهب في أي وقت.

- لا تقلق، التلة تشربت مياه المطر وعادت إلي طبيعتها مجددا.

ثم شرع في مساعدته..

********

# الفصل الرابع

استقرت سارا بين الثلاث سيدات..

رمقتها فيرونكا بنظرة حماسية ملؤها الفضول ثم أخبرت الجميع مازحة: إحداهم ستُبكينا إليوم أيضا.

لينكا ردا علي فيرونكا: ياليت كل شيء ينتهي فقط بالدموع.

أخبرتهم سابينا بنبرة تحمل الجميع علي التفائل: لا مجال للبكاء والعويل، الحياة دائما تصرف لنا أياما جديدة والأفضل دوما ينتظرنا.

وكأن كل سيدة تحمل ما حاكاه لها القدر في كلماتها حتي داهمتهم قائلة: الجميع يبكي ويبتسم وأنا أيضا كذلك.

ليتهيئ الجميع أخيرا لسماع ما ستخبرهم به سارا أريسون عن نفسها.

كُنت في مَيعة الصبا حيث مر علي ذاكرتي سبعة عشر عام من الزمان، عائدة من أكاديمية تعلم لعبة التنس منهكة تماما وقد الصق العرق بعض خصلات شعري علي جبيني، أرادني أبي ممارسة هذه اللعبة حيث أخبرني أن كرة القدم للفقراء، اللعبات الجماعية الأخري ليس لها نفوذا شعبيا ولن تفيدني بشيء، ألعاب القوي تحتاج إلي مجهودات بدنية كبيرة أما التنس يجمع بين هؤلاء كما أنه سيصقل من شخصيتي ويؤثر في تكويني كونها رياضة فردية للأبطال فقط تتطلب المواجهة داخل أرضية الملعب، أقنعني بذلك كثيرا حتي تولد بداخلي الحلم بأن أصبح بطلة في هذه اللعبة أمثال مارتينا نافراتيلوفا وكريس إيفرت وما أسهل أن تدس الفكرة في عقل مراهقة بإقناع حتي تعتنقها بكل عزيمه وشغف..

ألقيت حقيبتي أرضا وهممت بالإستحمام، تسلل إلي أذني صوت والداي صادر من غرفتهم الخاصة، إقتربت كثيرا حتي تسني لي السماع، وجدت أبي بكل حزم يخبرها: المستقبل هناك يتوجب علينا الذهاب.

والدتي بنبرة حادة: ماذا ينقصنا هنا، لما التغير؟.

- التغيير سيجعلنا بحال أفضل.

- وما أدراك، هذه فكرة مفاجأة كما أن التغير شيء مربك للغاية.

جدال وجدال وجدال..

أبي لا يزال ملحا علي ما يريده ووالدتي في رفض مستمر وأنا لم أفهم شيئا مما سمعت، أي تغير هذا الذي يريده أبي؟، مللت حتي إنصرفت..

مر أسبوع حتي جائتني والدتي رفقة أبي، أجلساني أمامهم جعلاني منتصبة أتأهب لسماع شيء ما هام، في البداية وقبل أن ينطقا ببنت شفة ظننت أنني ارتكبت فعلة سأتلقي عليها توبيخا لكن وما إن وجدتهم يتحضرون لإلقاء شيء ما علي مسمعي إنصرفت تلك الفكرة عن ذهني فورا، بدا متفقين علي ما سيخبراني به فتذكرت حينها ذلك إليوم وحالة الجدال التي تملكتهما، يبدو أن أبي هو من فاز وأقنعها بالأمر الذي لم أستطع فهمه اذ ذاك، هذا ما أجهدت نفسي لأتنبئه مستبقة الأمور..

والدتي تخبرني بطريقة مباشرة: بعد تفكير طويل اهتدينا أنا وأبيك أنه يتوجب علينا مغادرة هرينسكو.

أجبتها في اندهاش: سنغادر هرينسكو..! إلي أين، براغ ؟

- لا، سنغادر التشيك ونترك أوروبا بأكملها، سنذهب إلي الجنوب إلي إسرائيل حيث سيصبح موطننا هناك.

إستقبلت هذا النبأ بوجه متجهم، لم يخيل لي يوما أن أترك هرينسكو بخوانقها، بحيراتها، جبالها وطبيعتها، هنا نبتت روحي وازدهرت، هنا طفولتي وطمأنينتي كيف لي أن أترك الجنة وأنزل إلي ما هو أدني لطالما كان الذهاب إلي براغ فكرة تصيبني بالسأم فكيف لي أن أترك التشيك بأكملها..

عدت لأتسائل: ومتي سيحدث ذلك؟.

والدتي وكأن كل شيء معد مسبقا: بعد عام من الأن حينها سينتهي والدك من أعماله هنا وتصبح الأمور مهيئة للمغادرة.

شعر أبي أنني رافضة الفكرة تماما، حاول إقناعي بعدة أسباب منها أن الحياة هنا لم تعد قادرة علي إستيعاب ما ترنو إليه أحلامنا وكوننا عائلة يهودية يتوجب علينا الذهاب إلي أرض الرب حيث كل شيء هناك مهيئ لما نسعي لتحقيقة، لم يسعني سوي أن وافقت علي المغادرة بعد أن تلقيت بعض كلمات المواساة من والدتي عندما أخبرتني: نحن لا نمتلك حياتنا هذه لكن الجزيء الأكبر منها نستطيع تغييره علي المدي الطويل.

كلمات جعلتني أشعر ببعض الرضا والثقه أيضا فيما يقومان به لكنني ألححت علي أن لا نقوم ببيع المنزل كان بداخلي صوت يخبرني بأننا عائدون يوما ما وأنا أؤمن كثيرا بهذه الأصوات التي تراودني حيث صادفت في قراءاتي لإحدي الكتب مسبقا أننا عشنا هذه الحياة من قبل ويتسلل إلينا من حين إلي آخر أصداء من أحداثها علقت في أرواحنا..

كان عزائي الوحيد هو هذا العام المتبقي لي هنا أودع فيه كل شيء، تسلقت المرتفعات، ركبت النهر، آنست بكل شروق ولاطفت كل غروب يمكنني القول أنني رأيت هرنسكو كما لو أنني أتعرف عليها لأول مره وددت لو أن لي ذراعين كونيتين لطوقتها بهم من شده حبي لها فهي قيثارتي التي أنشد عليها أجمل الحاني..

مر العام مسرعا، حان الوقت لقول وداعا، وداعا منزلنا، وداعا حديقتنا، وداعا لتلك المروج التي تمايل معها قلبي مزيلة كآبة روحي ووداعا هرنسكو الطفوله والمراهقه سأنضج في مكان آخرورجوت الحظ في موطننا الجديد.

ما هي إلا ساعات قليلة في هذا الإختراع المذهل أعني الطائرة ، كانت رحلتي الأولي علي متن طائرة وعلي الرغم من ذلك لم أستطع أن أبدّد شك صاحبني لسنوات وهو هل سأهلع وأفزع من ركوبها يوما وسماع صوت محركها عند الإقلاع والهبوط أم انها خيالات عقلي المبالغ فيها دائما وأن الأمور عادية جدا في الأعلي عندما نصبح محلقين؟، نسيت كل هذا، كان أكثر ما استبد بعقلي طيلة أطوار الرحلة هو أننا تركنا هرنسكو وأصبحت خلفنا الأن، أصبحت من الماضي لم أصطحب منها معي سوي ذاكرتي وضعتها في الحقيبة معي حينها عرفت جيدا المعني الحقيقي لكلمه طالما ترددت علي مسمعي مرارا ونطقتها بين شفتي تكرارا دون وعي كامل لجوهرها وهي الوطن..

في مطاربن غوريون إنتظرت انا ووالدتي ما يقارب الساعة حتي عاد أبي بعد أن عثر علي سيارة مناسبة، كان المشهد أن كدّسنا الحقائب بصعوبة بالغة موزعة بعضها بجانبنا، في خزانة السيارة والأخري ثبتت فوقها بإحكام،

جلس أبي بجانب السائق في المقدمة ونحن بالخلف، كان الليل قد أحكم قبضته علي السماء وأنا أطالع معالم الطريق من النافذة في فضول ، كنت أري بنايات كبيره مضاء نوافذها، طرقا واسعه مليئة بالأشجار علي جانبيها تعبرها السيارات مسرعة لم يتسنّي لي التعرف علي العاصمة بأكملها كنا منحدرين نحو الجنوب وصولا إلي أحد الأحياء إليهودية حيث أخبرنا أبي أنها تقع ضمن أسوار مدينة القدس علي أن نقضي هناك عدة أشهر حتي يفلح في شراء منزل دائم لنا في إحدي المدن الإداريه الكبري وبدأ الحياة التي يأملها..

نال مني التعب فأنا لم أعتد علي مثل هذا النوع من السفر الطويل، أغمضت عيني قليلا وبعد حين أدركت السيارة متوقفه يفرغ والداي منها الحقائب، لم أعرف كم من الوقت مر لكننا أنهينا الرحلة وهذا ما أسعدني فور إستيقاظي، كان الليل قد إنتصف والظلام إستبد بالطرقات ولم أدرك الكثير من المارة في هذا التوقيت ربما لبرودة الجو أثر أيضا فدرجات الحرارة تهبط لأدني مستوياتها ليلا كما أنني لم استشعر من الهواء رائحة الصباح المعتاده كما عهدت في هرنسكو، يا الله كل شيء تبدل فما عساي أن أفعل وجب عليا التأقلم..

أتذكر أن والدتي كانت تحمل الحقائب في ضيق وحنق يستشعره أبي ويتلمّسه بالتأكيد لكنه ظل صامتا واثقا وكأنه يقول في قرارة نفسه: ها أنتِ ذي الأن غاضبة لكنّ كل شيء في الغد القريب سيصبح أفضل كما خططت.

كان في إنتظارنا رجل التحف بثوب طويل إمتد حتي رأسه من شدة البرد لم يتسني لي ادراك ملامح وجهه بوضوح لكن أنفاسه كانت تنبعث من فمه

وتتطاير في الهواء كمن يمارس النشوق، ساعدنا في حمل الحقائب ثم دار بينه وبين أبي حديثا قصيرا بالعبريه، اللغة التي لا أفقه منها الكثير حتي الأن لكن ما فهمته من إيماءاتهم أن هذا البناء سيصبح منزلنا الجديد ثم أعطي لأبي مجموعة من المفاتيح موضوعة في دائرة نحاسيه مغلقة وانصرف..

رفع أبي زر الإنارة الرئيسي ليضيء المنزل بالكامل فإذا به بناء بدا قوي البنية لكنه مستهلك الحوائط يحتاج لإعادة الطلاء من جديد، ليس بمتسع في المساحة لكنه يحتوي علي الغرف الأساسية لمنزل يستوعب عائلة ليست بالكبيرة، الأثاث في حالة جيدة لكنه تُرك للأتربة تتراكم فوقه بطبقات ناعمة للغاية، إختار لي أبي غرفة تطل نافذتها علي تلة عالية ممتدة تنحدر من بعيد ، أسعدتني هذه الإطلالة كثيرا لدرجة جعلتني أحدّق بها متفرسة تفاصيلها لكنني لم أستطع مطالعتها بوضوح وسط كم هذا الظلام الراكد في الأرجاء المحيطة لكنني بالتأكيد سأحظي بأوقات ساعات شرقية مميزه كل صباح..

لم نستطع فعل الكثير في هذا التوقيت فقط إكتفينا بإخراج بعض الأشياء الضرورية من الحقائب، كان الإجهاد والتعب نتيجة السفر الطويل يُسكر أرواحنا ويُجبر أجسامنا علي النوم ونيل قسط وافر من الراحة..

********

في صباح إليوم التإلي أفقت علي مكبر للصوت يصدر منه جمل قصيرة مرسلة من بعيد بدت لي أنها ليست عبرية لكنها منظمة بصوت مرتل ومكرر تسائلت في ذلك فأجابتني والدتي انهم المسلمون يقيمون صلاتهم الأن كونها تجيد بعضا من العربية لأصولها الشرقية القديمة قبل عمليات التهجير، لم أستطع حتي الأن إستيعاب أننا في منطقة شرقية بطباع وعادات ليست غربية مغايرة تماما عما عاهدته، إتجهت صوب النافذة مباشرة حينها أدركت مشهد التلة بوضوح تام لكن كثافة أشجارها منعتني من معرفة ما تخبئه خلفها ودون إرادة مني رسم عقلي طريقا يسيرا آمنا إلي هناك وكأنني مازلت في هرينسكو حيث براعتي في تسلق مرتفعاتها وجبالها متوسطة الأطوال بقدمين قويتين أثقلتهما ممارستي للرياضة بضع سنوات قادتني إلي ذلك..

مضت بضع أسابيع حتي أصبح كل ركن في المنزل مهيئ تماما للعيش فيه وسرعان ما تبادلنا مع الجيران الزيارات وتشاركنا المناسبات الأمر الذي لم يتسني لنا فعله أو بالأحري ممارسته في هرينسكوا نظرا لإفتقادنا مفهوم الجيرة وكوننا أصحاب ديانة يهودية مختلفة كليا عن المسيحية المنتشرة في أرجاء التشيك بقوة، إعتدت المنطقة بالكامل وآنست الصوت الذي يحمل المسلمين علي ممارسة صلواتهم في أوقات متقطعة علي مدار إليوم لكن مشهد التلة من بعيد ظل عالقا في ذهني علي شكل فضول يراودني ولا يزول تحوّل بعد ذلك إلي أسئلة ملحة: ماذا يوجد خلفها؟، ماذا يدور بالجوار ؟. فأنا أمقت الغموض بحيث أنني لم أعتد أن يقف عالمي عند حد معين، قدماي تطالبني بالركض وعقلي دون سلطة يحلق مبتعدا بي إلي هناك..

لكن وقبل أي شيء تذكرت بعض من تلك الكلمات التي أخبرتني بها والدتي عن تاريخ هذه المنطقة فور موافقتي علي قرار الهجرة ، أخبرتني أن المدينة تشهد نزاعا كبيرا دينيا وسياسيا وتاريخيا منذ زمن طويل وهذا الصراع مازال مستمرا حتي هذا الحين مجبرين علي العيش سويا حتي يأتي إليوم الذي سيفصل فيه بأحقية طرف عن الآخر فلابد من ذلك.

لم أستطع حينها تفهم الأمر جيدا، كان عسيرا علي عقلي لكن كل ما تبادر إلي ذهني حينها هو لماذا نترك هرينسكو أكثر الأماكن جمالا وسكينة في هذا العالم والذهاب إلي أرض تدور فوقها كل هذه الصراعات؟، هذا ليس منطقي بالنسبة لي، وما زادني حيرة أن والدتي كانت تتحدث عن الأمر بحيادية كامله فهي لم تسوق لي أية أفكارا عدائية ولم تتجه بذهني إلي ما تخبئه بداخلها من مكنونات أو معتقدات أو أراء ذاتيه تكنها، تركت لي الأمر مفتوحا حائرا غامضا ربما لظروف طفولتها ونشأة أجدادها في بلد عربي قديما تأثيرا كبيرا علي ما تعتنقه من أفكار قبل أن تهاجر إلي أوروبا في الصغر حتي أنني في بعض الأحيان سمعتها تردد بعض الكلمات العربية حين تصبح في غبطة كبيرة أو حتي في استياء شديد لكن دعنا من ذلك الأن ما احتل جنبات عقلي هو كوني أصبحت جزءا من هذا الصراع بتواجدي فيه وتسائلت: أي الطرفين نحن؟، أو بالأحري كما اعتدت من نواميس البشر: لأي طرف يجب أن أمتثل؟..

أعلم أنه سؤال جنوني لكن كل شيء يبدأ بالسؤال إليس كذلك؟ كيف لفتاة يهودية الديانة أوروبية المنشأ أن تتسائل هكذا سؤال يبدو الأمر وكأنني متمردة خائنة أو خبلت لكن مهلا قليلا فأنا لم أعيش هذا الصراع من قبل ولم أفكر في تلك القضية يوما، لدي من المشاعر ماهو أبيض بريء ومحايد من كلا الطرفين كما أنني نضجت في بيئة مغايره تماما وكليا عن ما أنا بها الأن، بالنسبة لي هذه أسباب منطقية جدا تحملني علي هذا التسائل.

مر شهر واثنتين والذهاب إلي التلة بات يحتل مساحات التفكير داخل خلايا عقلي ولا سيما تلك الأحلام التي راودتني مؤخرا، كنت أري نفسي في طريق طويل إليها وكلما شعرت بإقترابي منها أواصل السير ثم أطالعها أجدني مازلت بعيدة فأواصل السير مجددا وأطالعها فأجدني بعيدة أيضا حتي يتملكني التعب والإنهاك الشديد فأستيقظ من غفوتي علي لا شيء ، كان حلما..! مازلت علي سريري داخل غرفتي تلك النقطة التي ألازمها منذ أن حطت قدماي هذا الحي..

في إحدي الصباحات وكنت قد قررت مسبقا الإقتراب منها بحجة قيامي بنزهة ركض خارج حدود الحي، كان مطلبا عاديا لاقي القبول لدي والداي، تحينت خروج والدي الذي يتردد في نهار أيامه بين المدن الكبري بحثا عن منزل كبير يليق ووالدتي التي تقيم الصداقات طيلة الوقت مع جيراننا في الحي وبالفعل إجتزت الحي سيرا ثم بدأت بالركض بشكل عرضي خارج حدوده أحافظ علي مسافة واحده بيني وبين نهاية إنحدارها بطريقه تجعلني اتعرف علي طبيعتها جيدا ، بدت لي أكثر قسوه مما تبدو عليه من نافذة غرفتي،

ممتدة بشكل طولي ليس بالقصير لم يتاح لي رؤية نهايتها بعيني وكأنها ترسم حدودا طبيعيه لعالم آخر خلفها..

أوقفت حركات قدمي المتتابعات ركضا لإلتقاط أنفاسي لكنني لم أستطع أن أشيح بنظري عنها، تملكتني الرغبه في أن أركض بإتجاهها مباشرة كان شعورا مثل أن توجه مسدسا صوب رأسك كما يحدث في حالات الإنتحار المتكررة بهذه الطريقة رغبة منك في محاكاة دور المنتحر وما يشعر به لكنك قبل أن تنحي المسدس جانبا تنتابك تلك الفكرة الشيطانية بأن تضغط علي الزر أنت أيضا وتخوض التجربة، لحظات وكأن هناك قوة خفية تسحبك وتجذبك دون إرادة منك للقيام بهذا الفعل، أنا أيضا شعرت بذلك لكنني سرعان ما اتخذت قرارا بالعودة وهذا ما حدث في هذا إليوم، عدت بعد أن اقتربت، لم يكن حلما هذه المرة لكنني قررت العودة..

********

# الفصل الخامس

حل المساء، وقفت تحت تلك البناية تطالع ذلك الطابق الذي ينبعث من نافذته ضوء حيث أخبرتها زوي أنه مسكنها، بدا لها الضوء وكأنه أمل جديد قد منحه لها القدر علي شرفات الحياة، أن تمتلك ذلك الشخص الذي يتاح لك الذهاب إليه في أي وقت وقضاء بعض الأوقات الممتعة معه هذا بمثابة تعزية عن أشياء كثيرة موجعة في الحياة وإن لم نبح بها..

إرتقت البناية حتي ذلك الطابق منتصبة أمامه في تردد: زوي غريبة الأطوار صباحا أصبحت ملاذا وقت الضيق مساءا..! ألا تسير الأمور بطريقة مسرعة للغاية ؟ فكره حملتها علي العودة مجددا لكن القدر لا ينسج أحداثه بتلك العشوائية، أدارت جولين ظهرها للطابق لتخرج زوي في توافق عجيب حاملة معها مرشة نباتات ممتلئه بالمياه مرتدية ملابس منزليه فضفاضة وما إن إنتبهت قالت في غمرت دهشتها: جولين هذه أنتي.!، مبتسمة

- اعتقدت ان الوقت مناسب للحديث معك قليلا.

- نعم، بالتأكيد يمكننا ذلك.

قادتها زوي إلي سطح البناية حيث كانت وجهتها بالأساس، هنا علي ارتفاع حوالي سبعة عشر طابقا أو يمكننا القول علي إرتفاع سبعة عشر درجه من تخفيف حدة الواقع قليلا حيث تغدو الهموم وعراقيب الأمور شيئا ضئيلا مهملا كلما ارتقت أرواحنا نحو السماء وكأننا نلبس ثوب الكأبه

بالأسفل حيث كل شيء عابر ندركه مؤذ وموجع.

هذا الإرتفاع يتيح للناظر رؤية منهاتن بأكملها بأبراجها وأنوارها الليلية الساهرة وكأنها قطعة من السماء تسبح عبر هذا الأثير الممتد، سطح البناية مترع بالنباتات والأزهار يتناوب علي سقايتها قاطنيها وما ان انتهت زوي وأفرغت قارورة الري إلتحقت بـ جولين التي لم تنبس ببنت شفه فقط تجلس سابحة في صمت تام حتي أستشعرت زوي ما يعتمل بداخلها فبددت صمتها قائلة: لا يبدو أن الأمور تسير معك علي نحو جيد، يمكنني رؤية ذلك.

جولين: نعم، لكنه ليس بالشيء الكبير. ثم نظرت إليها وأضافت بإبتسامة: أردت فقط مرافقتك لبعض الوقت.

- الأشياء الصغيرة دائما هي الأكثر إيلاما يا صديقتي. قالت هذا وهي تطوق جولين بذراعيها..

جولين: حسنا، دعينا نلازم الصمت ونمضي هكذا بعض الوقت.

الصمت رغبه يلجأ إليها المرأ في أخر محاولاته لملأ صدوع روحه فهو أبلغ من الكلمات و أكثر تعبيرا عما يجول بداخله حينها حيث أن لصمتك العاقل سحرا عجيب في إعادة شتات روحك مجددا وإسترجاع ما سلب من سلامك النفسي، أن تسكن جوارحك موجة نظرك إلي اللاشيء فقط تترك لعقلك العنان وكأنك تخبره: حسنا، فلنعد فتح ما تركم من أفكار و أحداث و تناقضات فليكن شيء من المواجهة يحمل بعض القرارات لا الهرب. إنه أشبه بعملية مسح ذاتية لشوائب الروح وإعادة تأهيلها للخوض في شبكات الحياة المعقدة ثانية بعد أن التفت خيوطها في عشوائية وتداخل أنهكك وأتعبك.

متناسية ما حدث بينها وبين والدها من مشاجرة كلامية إعتادت عليها بكثرة في الآونة الأخيرة، تبحث عنه في أرجاء المنزل: أبي.. أبي، أين أنت.

تفقدت عدة غرف حتي وجدته ملقي علي الأرض في إحداهم يتصبب عرقا، ضائع الوعي ويلتقط أنفاسه بصعوبة شديدة، فزعت لرؤيته علي هذه الحالة فهي لم تعتد عليه بهذا الضعف من قبل علي الرغم من أنه في مرحله متأخرة من مرض السكري تستوجب الإلتزام التام والحرص الشديد لتجنب الدخول في حالات الغيبوبة او ما شبه، هرعت بإضطراب تنظم له جرعة الأنسولين المقررة وهي تخاطبه بكلمات يتخللها الخوف الشديد: أسفه يا أبي.. تماسك من أجلي.. لن أتركك ثانية..

بأيد مرتجفه دست إبرة المحقن تحت الجلد في إحدي ذراعيه لتسري مادة الأنسولين داخل خلايا جسده وهي تحتضه بين زراعيها ومازال ملقي فوق أرضية الغرفة حتي زال الخطر وبدأت تهدأ ثائرة جسده علي نقص تلك الماده اللعينه مجددا..

جولين متسائلة بعد أن سكنت جوارحها من الخوف: لما فعلت هذا؟ ماذا أردت أن تثبت؟.

- أعرف أنك ما كنت لتتركيني.

- وهل لديك شك في ذلك لكن أخبرني ماذا لو تأخرت قليلا؟، ماذا لو لم يكن القدر رحيما.

- لكنني أثق بك دائما.

جولين في انفعال: لا تحدثني بالعاطفة الأن، أنت تجازف بروحك، أتعتقد أنها لعبه مسليه.

- لقد تمكنتِ من إنقاذ حياتي بالفعل.

- هذا جنون، كاد أن يتوقف قلبي فور رؤيتك هكذا، عدني بأن لا تكررها مجددا.

- حسنا، أعدك و انتِ لن تتركيني؟.

- ليس لي أحد سواك. ثم أضافت وكأنها تلقي علي مسمعه أمنية: لا تختبرني في ذلك مجددا.

الأيام العصيبه الثقيلة علي الروح تجعلك تتسائل طيلة أطوارها: متي سأعود إلي الغرفه ثانية؟ ألقي بهامتي علي السرير وينتهي كل هذا السخف. إقتلاعها من نوم عميق والزج بها في واقع مزعج رغما عنها صباحا، الشعور بكونها عضوا غير مرغوب فيه بلا ذنب في أولي أيام العمل، أدخلها أبيها في لعبة كادت أن تتسبب في موته بغير عمد، أشياء سخيفة حاصرت روحها وأهلكت طاقتها إليوم..

هنا في خزانة الملابس حيث تخفي مدونة يومياتها الصغيرة، شيء خاص لا يعلم بأمره ميتشل أريسون حتي الأن، أخرجتها وانتحت جانب الغرفة لتبدأ بتدوين بعض ما مرت إليوم:

" أرواحنا دائما في حالة هدم وبناء، نرتكن إلي ذلك الجزئ المعمور ليعيننا علي مواصلة الصمود تاركين ذلك الركام المهدم لحين ترميمه، هذا ما يجعلنا في حالة توزان دائمة لكن إليوم إزداد ذلك الجزي المعمور تشوها

بداخلي، أخشي السقوط..

إليوم مررت لي كيندي شعورا سيئا حملت روحي علي إبتلاعه ، أه ما أشقاني من كثرة إبتلاعي لحماقات البشر التي لا تنتهي، لا أدري أهذا شيء سلبي أن تبتلع أية حماقات يرتكبها البعض في حقك أم تبدي إنزعاجك الفوري حينها ولو فعلت ذلك لتحولت إلي كائن كثير التذمر وآله دائمة الشكوي من أفعالهم التي تحمل القليل من حسن الطوية والخلق لكنني في النهايه أعود إلي سريري ليلا هادئة البال مرتاحة الضمير، هذا أكثر ما يهمني..

لاتزال ابتسامتها الساخرة المتكلفة في طرفي شفتيها وهي ترحب بي تلوح أمام عيني وكأنها معي الأن داخل الغرفة، أبتسامة تشتمل من سوء السريرة وفظاظة النية الكثير، عادة ما ينتبه الأشخاص عند لقائهم الأول إلي ترك إنطباعات جيدة حتي لو لم يكونوا كذلك، ذلك أمر نعرفه، لكنني لا أدري من أين أتت كيندي بكل هذه العدائية تجاهي فليس من الطبيعي أن تصرخ في وجه شخص بالكاد تعرفه ويعرفك وبدون أية أسباب واضحه بل الأكثر من ذلك أن تكن لشخص ما لم يتح لك معرفته بعد سوء النية.

كيندي أيتها الكارهة لي بغموض أسبابك أنا لا أبادلك ذات الشعور لأنني وبكل بساطة اشعر دائما بالشفقة لا الكره وهذا شعورا أكثر سموا لي و قاس جدا عليك لوتعلمين..

علي النقيض التام روح إقتحمت عالمي بالقوة واستسلم لها قلبي علي الفور، هذه أنتي يا زوي يا لك من ملاك يسير بيننا ويصعب علي البشر إدراكه علي الرغم من معرفتي القليلة بك، صوتك الدافئ أصبح أنيسي إليوم في

وحشة هذا العالم، ليتني أستطيع وصفه بنوتات موسيقيه بين خطين متوازيين..

لا بد أن أعترف بأنني مدانة لكي بالأعتذار عندما أطلقت عليكي لقب غريبة الأطوار كانت هذه فظاظة مني وقلة خلق، هذا شيء سيقتلني في كل مره أطالع فيها عينيك الوديعتين التي تحملان لي بيارق السلام والمحبة الدائمة ، هذه يد الرب وضعتك في طريقي أعلم ذلك جيدا فبكل التباريح هناك شيء يهون الطرقات وأنتي أصبحتي الرفيقة ".

********

صباحا جرت الأمور علي نحو روتيني كالمعتاد، لا مجال للتكاسل في تمارين الإحماء فور الإستيقاظ تبعه الفطور مع أبيها، شتان الفارق بين صباح الأمس وإليوم لكنه بدا شيء غير ملاحظ لها، ما يثقل روحها الأن هي حتمية مقابلة ليون إليوم وهذا شيء مزعج، مزعج للغاية لأنها لم تفطن بعد إلي الطريقة التي ستقودها للتخلص منه نهائيا وإلي الأبد.

زوي في صالة البإليه تخبرها في همس: لا تنتبهي إلي ما تفعله كيندي كثيرا، هي هوائية ومتقلبة المزاج.

جولين ترد في حرص ألا تلاحظ كيندي حديثهم الجانبي: نعم لاحظت ذلك، لكنها إليوم لا تكف عن استراق النظر لي.

ثم تسائلت: هل تخطط لشيء ما ؟.

- لا أدري، لكن يبدو أنها تحت تأثير فكرة ما تدور برأسها تريد تنفيذها.

إنقضت عدة دقائق حتي طلبت كيندي من زوي إعداد قائمة موسيقي بيانو تناسب حصة إليوم وبذلك أوجدت الفرصة للإقتراب أكثر من جولين التي إصطنعت الإنشغال بالصغار حينها بادرت كيندي بالحديث: أدين لك بالإعتذار بشأن ما حدث بالأمس.

جولين ونبرة الإندهاش تملأ صوتها: أريد فقط أن أعرف لماذا ؟.

- أنا لا أعرف حقا، كان بداخلي جنونا وعادة ما أصبح فظة مع جميع من حولي هكذا.

- وهل أصبحتِ بخير الأن؟.

- نعم أفضل حالا، علاقتي بأدم كانت سيئة في الأونة الأخيرة لكننا تداركنا الأمر بالأمس والأن تسير الأمور علي نحو جيد.

وأضافت: أكرر اعتذاري مجددا.

جولين بإبتسامة لين: لا عليك، حسنا لنقم بالتعارف مجددا، مرحبا أنا جولين..

ضحكت كيندي مرحبة بالفكره: وأنا كيندي يلقبني الصغار بالأرنوبة لأنني عادة ما اتنقل بينهم مسرعة كالأرنب لتصحيح الأوضاع أما زوي يلقبونها بالسلحفاه لأنها بطيئة نوعا ما وكثيرة الإرتباك.

ثم أمالت إلي جولين خافضة حدة صوتها: هذا شيء خاص بيننا لا تخبريها حسنا.

ضحكت جولين بعفويه قائلة: حسنا، لن أتفوه بشيء.

********

حان الوقت لمقابلة ليون الحتمية، ليون المتأهب جدا لهذا الأمر وهذا شيء متوقع لدرجه يمكن أن تجعله يتصرف بسخف أمام مرآة غرفته حيث يقف أمامها بكامل شعوره بالتآنق والجاذبيه وهو يقول في محاكاه: مرحبا جولين.

ثم يحدث نفسه ناصحا: لا لا يجب أن أخفض نبرة صوتي بعض الشيء.

ثم يعيد القول: مرحبا جولين.

- هذه المره أفضل لكن يجب أن أبتسم قليلا..

ويعيد الكره مجددا دون ملل: مرحبا جولين.

- حسنا حدة صوتي جيدة، ابتسامتي مناسبة، لا شيء ينقصني الأن.

في حين آخر تجهزت جولين بتآنق خارجي مثير للغاية أضافت له بعض صفات التكبر والغرور معتنقة إياها بتصنع في شخصيتها إلي الحد الذي جعلها تري في وجوه العامه نظرات استحقار ونفور ترمقها بإستمرار وكلما ازدادت تلك النظرات إستحقارا كلما أيقنت أنها علي الدرب الصحيح لجعله يعيد التفكير بشأنها مجددا ولا بأس ان قام هو متحججا بشيء ما وتركها، هذا ما تعول عليه كثيرا لكنها لا تدري ماذا ستفعل بعد ذلك فهي مازالت في حيرة من أمرها حيث لم تجد الطريقة المناسبة بعد لذا تخشي أن تهم بإرتكاب فعلة مجنونة أو شيء من هذا القبيل إذا قام هو بمسايرتها في كل شيء حينها سيزيد من الضغط عليها وتقوم حقا بشيء جنوني فظ قد تندم عليه لاحقا، يالها من أفكار لم تستطع أن تمنع صوت رأسها منها طيلة إليوم.

في الميعاد المناسب، لا بل علي الرغم من إستعارتها لسيارة أبيها إلا أنها تعمدت التأخر قليلا، هذا تصرف غير لائق تعلم ذلك لكنه ناسب خطتها تماما بينما هو الطرف الملتزم بالميعاد بل تواجد قبله ببضع دقائق رغبة منه في أن يألف المكان مقللا من حدة توتره المتوقع قليلا..

كان مطعم فاخر بسيط في الوقت ذاته، إضاءته خافته، بعيدا عن وسط منهاتن، هادئا غير مزدحم يحظي بتقيم أربعة نجوم ونصف من الخمسة، أحسن ليون إختياره فمن الجيد أن يحدث هذا النوع من المقابلات بعيدا عن الوجوه المألوفة وعن أي مكان معتاد قد تردد عليه أي من الطرفين مسبقا او لإحداهم فيه ذكريات..

جولين علي مهل ودون انتباه بأنها الطرف الذي حضر متأخرا: أهلا ليون.

ليون بإبتسامة مطبقا مشهد المرآه بإتقان: مرحبا جولين. ثم قام وأجلسها بأدب رفيع.

وما إن جلس هو الأخر حتي تسائل: هل كان الطريق مزدحما أم عانيت في التعرف علي مكان المطعم.

- لا شيء من ذلك بل لم استطع صف سيارتي بسهوله وأنا الأن قلقه جدا بشأنها.

- يمكنني صفها لك بطريقة أفضل إذا أردت.

- حسنا. ثم وضعت له المفتاح علي الطاوله قائلة: إنتبه عليها جيدا إنها المُعدلة من نوعها.

بعد ان غادر عاد إليها صوت رأسها مجددا: لعله لاحظ تكبري وقلة خلقي حتي أنني لم أعتذر كوني تركته منتظرا كل هذا الوقت، هذا يقتلني لأنني لم أكن يوما هكذا، لابد أنه الأن مندهش مستغرب يتسائل في ذلك.

تنقلت بنظرات خاطفة بين زوايا المطعم تكتشفه بلا مبالاة إلي أن وقعت عيناها علي ذلك النادل هناك وهو يقوم بخدمة إحدي الطاولات، طالعته لعدة ثوان ثم لاحظت نادل أخر يغادر متجها إلي الداخل لجلب ما تم طلبه من قبل زبائن المطعم ثم أرجعت نظرها مجددا.

شاردة في حيره يبدو أن النادل قد ألهمها بحيلة شيطانية تخطط لتمثيلها علي أرض الواقع وما هي إلا ثوان حتي أشارت لهذا النادل وفور إقترابه أمرته بإحضار كأس من الليمون وبكل أدب وذوق أماء لها برأسه بإبتسامة تُفرض علي وجهه فور تلقي الطلبات من الزبائن.

في هذه الأثناء كان ليون قد عاد مبتسما بعد أن أتم صف السيارة بطريقة أكثر أمانا ، انه بمثابة شيء كبير قام بإنجازه الأن كونه متعلقا بجولين الذي يحاول جيدا ارضاؤها بشتي الطرق..

عاد قائلا : لا تقلقي الأن بشأن السيارة.

توقع منها بعض كلمات الشكر لكنها تجاهلته قائلة: لم أستطع الإنتظار وطلبت كأس من البرتقال.

- حسنا فعلت الصواب، يبدو أنك منهكة قليلا.

ثم تسائل أيضا: ما هي مخططاتك لما بعد الجامعة؟.

داهمته قائلة: ألم يخبرك أبي أنني وجدت عملا في وسط منهاتن مؤخرا؟.

علت الدهشه علي وجهه: لم يسبق وأن تحدثت معه في أمر كهذا من قبل.

قطع النادل حديثهم وقام بوضع كأس الليمون أمامها علي الطاولة ثم هم بأن يغادر..

جولين محدثة إياه في استياء: ما هذا؟، طلبت منك كأس من البرتقال وليس الليمون.

نظر النادل إلي مدونته الصغيرة للتأكد ثم أخبرها بثقة: بلي لقد طلبت الليمون وها أنا قد سجلته علي الفور. رافعا ما قد دونه أمام عينيها

إزداد إستياء جولين أكثر: هل أنا جننت لأطلب شيئا لم اتذكره، أنت تكذب.

هنا تدخل ليون ليفض المشهد متحدثا إلي النادل: حسنا أجلب لنا كأس آخر من البرتقال وأنا سأتناول الليمون.

جولين استولت عليها الحماسة لتصب جم غضبها علي ليون قائلة له: هل تعتقد بأنك حللت المشكلة الأن ؟ إنه يتهمني بالكذب وأنت تسايره. لتذوب شيئا من بروده قليلا

- جولين ما مشكلتك الأن؟، يمكنني أن أجلب لك ما تطلبينه مجددا، هذا مطعم كبير ومن النادر أن يقوموا بإرتكاب مثل هذه الأخطاء.

وكأنها تخبره نفسها ( هذا هو الوقت المناسب ) وبكل عدائيه: حسنا أيها الأحمق فلتذهب أنت وهذا المطعم إلي الجحيم.

ثم همت بالمغادرة مسرعة تاركة إياه علي الطاوله غير مصدق ما حدث رفقة النادل..

********

# الفصل السادس

في مساء ذلك إليوم الذي أصبحت فيه قريبة جدا من التلة بإدعائي ممارسة الركض عاد أبي من رحلته إليومية المعتادة لكن هذه الليله لاحت علي وجهه علامات الرضا والسرور التي لم نعتدها عليه من قبل، أخبرنا أنه عثر أخيرا علي منزل رائع في منطقة تدعي يافا تقع ضمن نطاق العاصمه علي ساحل البحر المتوسط وأنه يتوجب علينا القيام بالمغادرة خلال شهر من الأن حينها ستنتهي مدة تأجيرنا لهذا المنزل المؤقت والإنتقال بشكل دائم إلي هناك..

أُجبرت علي رسم ابتسامة بلهاء علي وجهي مدعية الفرح في حين أن والداي احتفلا بذلك حتي وقت متأخر من الليل ففضول والدتي قادها لمعرفة أدق التفاصيل عن المنزل من أبي الذي ثرثر كثيرا معددا ميزاته وأوصافه بشغف وكأنه يصف معركة قام فيها بالقضاء علي عدو بتوجيهه له لكمات متتإلية قاضية أما أنا فلم تكن إبتسامتي بلهاء فحسب بل كان شعورا باردا لا يبإلي فبعد مغادرتي هرينسكو لم أكن لأتعذب لمغادرتي مكانا آخر بل ما أحزنني حقا هي تلك التلة التي باتت دأبي وعادتي طيلة الفترة الماضية..

قد يعتقد البعض أنني أبالغ وقد يتسائل أيضا هل وقعت حقا في حب تلة وأغرمت بها إلي هذا الحد؟، أصبح الأن هذا التسائل منطقي كي نذكره لكن علينا أولا أن نجزم بأن ليست لكل الأسئلة إجابات مقنعة للآخرين حتي يُتاح لهم أولا معرفة طبيعة الشخص والتعمق في فهم اختيارته المعقدة حينها سيبدو كل شيء طبيعي ومفهوم..

إسمعوني ياسادة أنا فتاة تتوق دائما إلي حياة البريه بحيث لم يتسني لي العيش وسط أجواء محيطة بالبيوت والأرصفة والمرافئ بل كنت محاطة بالأشجار والمرتفعات ومساحات واسعة تنبت فيها الأرض ما تراه مناسبا للنمو فوق طبقاتها وأنا أيضا نموت أثناء طفولتي مع تلك الطبيعة وثأثيراتها حتي كان الأنتقال إلي براغ ليوم واحد في منزلنا الآخر يخنقني وأستسيغه علي مضض هذا سببي الأول لكن سببي الثاني يتطلب منكم أن تستمعوا إليه بقلوبكم وليس بعقولكم حتي تدركوا تمام الإدراك ما أعنيه وأظن بأنه ليس بغريب عليكم، أنا وكما أصبحتم علي تمام العلم أعشق هرينسكو وكما يحب الرجل امرأة وتتركه فجأة يظل يعشق بعضا من تفاصيلها فيما يقابله من نساء أخريات وأنا عندما كنت في هذا الحي الذي لم يتسني لي معرفة جيرانه بعد لم أجد شيئا من رائحة هرينسكو سوي في تلك التلة بحيث كل شيء حولي كان يشعرني بالغربة والوحشة.

في الصباح وهذا يعني بالنسبة لي انقضاء أول يوم من الشهر الذي حدده أبي قبل ترك المنزل، كما إعتاد أبي المغادره في أول النهار ذهب وكذلك والدتي من بعده إلي مكانا لم أهتم كثيرا بمعرفة وجهته بل ما أردته هو أن تتاح لي الفرصة بالخروج كما فعلت بالأمس دون أن يلاحظ أحد منهم وجهتي أيضا..

خرجت سيرا حتي تخطيت حدود الحي فتراءت لي التلة في أوج تألقها بأشجارها التي كانت تزداد نضارة ونضجا يوما بعد يوم وكأنها تسكن في عالم آخر حتي أصبحت أكثر غواية لي في تسلقها من أي يوم مضي ، قطعت مسافة

عرضيه مع امتدادها حتي هدأت خطواتي ، لست أدري حقا أنا من قررت الوقوف أم قوة خفية فعلت وأمرتني بذلك..

شيئا يسحبني يجذبي ويطالبني بالإقتراب..! حسنا فعلت واقتربت حتي بدت لي شديدة الإنحدار علي نحو يمكن توقعه أو يضمن لي أنها علي الجهة الأخري يمتد انحدارها علي مهل هادئ ويسير..

شيء يطابني بالتسلق..! حسنا بدأت التسلق بالفعل ، شعرت بخفة جسدي فأنا اعتدت إرتداء تلك الحقيبه المثقله علي ظهري بأدوات عدة ومياه للشرب أما الأن لا أمتلك سوي رغبتي التي تعينني وتلك القوه الخفيه التي تجذبني لمواصلة التسلق..

كنت أتمسك بالأشجار التي تقابلني عن يميني ويساري في عزم للصعود ونهم المواصلة، لم أحسب كم صعدت وكم تبقي لي علي النهاية علي أية حال هي تلة وليست جبلا شاهقا.

كعادتي أصبح الأمر تقليديا معتاد بحيث يقوم جسدي بما يراه مناسبا من بذل طاقات وتحمل وثبات يتطلبه التسلق أما صوت عقلي فقد تركت له العنان محلقا بأفكار أتلقفها من وحيا أقابله أنا بالصعود مستبقة إياه بأن يهبط هو علي عقلي، دعوني أخبركم ببعض من هذه الأفكار التي طرأت علي رأسي عند تسلقي التلة:

أدركت الحياة حينها مجسدة في غابة تغريك بالنظر إليها من بعيد وتغويك بأن تسبر ما بداخلها من طرقات لتبدأ بالدخول منفردا، المغامرة بالطبع تستهويك، الأمر يسير في البداية يزيد من شغفك بالتعمق أكثر، شيئا

فشيئا تبدأ الطرقات بالتفرع أمامك وأنت دائما في حالة إختيار، هذه المرة سأختار بعقلي، لا.. بقلبي، حسنا هذه المرة قياسا علي موقف ما وهذه المرة بوجة نظر مخالفه لما أعتقد ، أنت تجرب لتقف حائرا ناسيا ما قد مررت به فاقدا طريق العودة، الأمر يدفعك دائما للمواصلة لكن إلي المجهول، تشتد الطرقات وحشة وتضيق بك خانقة، لتبدأ بطلب المساعدات، هذا غصن يقابلني سأتمسك به وبالفعل صعد بي خطوة للأمام، هذا غصن آخر يتجمّل في عيني فأهم بالتمسك به فرحا فإذا به يصفعني علي ظهري فور أن تركته خلفي، بعد حين تكافئني الغابة بثمرة ، حسنا لقد تعبت حان وقت جمع الثمرات لكن هذه قليلة لا تغني في حين أن لذتها لا تقاوم لكنني أتركها من أجل ثمرات أكثر عددا وأكبر حجما علي طريق آخر يجب أن أسلكه فتعتقد ان الغابه تحبوك من عطاياها فتنهال علي إلتهامها حتي تقضي عليها تماما، يا إلهي ماذا فعلت بنفسي..!، لقد أصابتني بالإعياء الشديد، هذا ما جناه عليّ الطمع ليملؤك البؤس وتطلب العوز فتبدأ بالتسائل كيف أخرج نفسي من هذه الدوامة المرهقة الموجعة؟، في حقيقة الأمر الذي يمكنه اخراجك منها هو من يعلو الغابة ، من تنكشف له الطرقات، من يلهمك الإختيار ومن يحيك لك الأقدار.

في مواصلتي للتسلق حيث لم يتبقي لي الكثير حتي أبلغ القمة، الأمر أشبه بفتحي لصندوق عتيق ظل مطبقا علي أسراره سنين عدة و الأن ستتاح لي معرفة ما بداخله انه شيء مشوق جدا أليس كذلك؟، أخيرا سيتسنّي لي قهر التلة ومراقبة المشهد بكامل أسراره من الأعلي ولا تظنون أنني جاهلة بما

يدور حولي فأنا أعلم تمام العلم أن التقدم أكثر شيء من الجنون هناك حدود يجب التوقف عندها كوني من قاطني الحي اليهودي ، أنا فقط أريد سرقة بضع دقائق وربما تمتد إلي أجزاء من الساعة..

كانت أخر خطواتي، نظرت إلي الخلف وفوجئت بأنني لم أستطع تحديد موقع منزلي إلا بعد عناء من البحث لقد تراءي لي الحي الذي أسكن فيه والأحياء المجاورة متشابهات لا شية فيهم غير أن الأرض ليست مستوية والطرقات تعلوا وتنخفض علي مهل غير ملاحظ عند السير فيها ، نظرت أمامي بعد أن أصبحت علي قمة التلة وجدتها متسعة ممهدة وممتدة ليست كما تخيلت بل يمكن السير فيها وبناء منزلا ليس بالكبير أيضا ثم طالعت الجهه الأخري التي طالما انتابني الفضول حيال ما تكنه خلفها وجدت شبه تلة أخري مرتفعة، الصعود إلي قمتها يتطلب تقريبا ثلث المسافة التي قطعتها للوصول إلي هنا، لم أفكر كثيرا تجاسرت وهممت بالتسلق علي الرغم من أن الشمس تشتد أشعتها تدريجيا فقد شارفت الظهيرة علي البدء ، حدثت نفسي حينها: يجب أن أنهي ما جئت من أجله اليوم.

واصلت التسلق حتي وقفت علي القمة أخيرا حيث لا شيء مرتفع وشاهق الأن سوي تلك النقطة التي أطالع من خلالها كل شيء، كان سطحها متعرجا، السير فيها يتخذ صعودا وهبوطا، ممهدة الإنحدار علي الجهة المقابلة كما توقعت ، نَمت عليها أشجارا بدت عتيقة ذات أعمارا طويلة ، شعرت بإنتصار كبير حينها حيث تواجدت علي تلك النقطة التي لم تستطع عيني التقاطها من نافذة غرفتي..

أردت التنقل قليلا بطريقة تمكنني من إكتشاف المدينة بكامل أحيائها وضواحيها هنا سمعت صوتا صادر من جهة ما ليس بصوت شخص مجسدا لكنه بدا مسجلا أو مثل راديو ينقل هذا الصوت، تبعت أذني مصدر الصوت الذي كان عربيا جادا في نبرته حادا في نهاية عباراته حتي وصلت إلي شجرة ، هنا ذهلت عيني عندما رأيته وتصلب جسدي فاقد القدرة علي الحركة او حتي نطق بعض الكلمات، كان يجلس خلف شجرة ضخمة يمكن لأي شخص الإختباء خلفها إذا أراد واضعا الراديو بالقرب من أذنه يتابع ما يبث عبر الموجات في تركيز وانتباه وعندما لاحظ وجودي كأنه شاهد كائنا من عالم أخر قد هبط من السماء فجأة وتجسد أمامه علي هيئة شخص من البشر، كلانا شده لرؤية الأخر.

كان شابا وقد تخطي العشرين من عمره، فارع الطول ذا بنيه قوية ربما للبيئة المحيطة تأثير في ذلك، بشرته ليست بالبيضاء ولا السمراء كانت بين بين قسمات شرقيه أصيلة..

بعد ثوان من زوال الدهشة إنتفض من جلسته واقفا بينما أنا حاذرت فتراجعت قليلا، أخذ يحدق في محيط المنطقة بتأهب شديد ثم وجه لي كلمتين بالعربية التي لا أفقه فيها شيئا بالطبع لكن بدا لي من نبرته وايماءاته أنه يتسائل عن ماهيتي فقلت بإرتباك: سارا.. أدعي سارا. قلتها بالإنجليزيه.

لم تتغير ملامح وجهه وتسائل مجددا لكن هذه المرة بالإنجليزية: من أين أتيت ؟ وماذا تفعلين هنا ؟!.

قلت: من الحي اليهودي. وأضفت بسعادة : لقد تسلقت التلة توا.

- ماذا..! تسلقتي التلة؟، ألا تعلمين أنه غير مسموح لكلا الطرفين بعبور تلك المنطقه.

- حسنا.. لكن أخبرني أنت أولا ماذا تفعل هنا اذا كان عبور المنطقة غير مسموح به؟! قلتها في محاولة لتغير دفة النقاش وأصبح أنا الطرف المتسائل..

- هذه بلدتي. مشيرا بيده إلي أسفل التلة.

صمت ولم أجد ما أقول فأضاف: لولا سذاجتك هذه لإعتقدت أنك تتعاونين مع أجهز استخباراتيه أو مجندة في الجيش مثلا.

- ولما تعتقد ذلك عني. قلتها بإنكار كارهة اياه وصفي بتلك الطريقة

- لا يجرؤ أحد علي عبور التلة واذا فعل يكون في الخفاء ليس بهذه الطريقه الخطره.

- وماذا إن فعلها عن قصد ؟.

ابتسم ابتسامة فشعرت وكأن هناك شيئا لا أفهمه أو غائب عني ثم تسائل عن موطني الأصلي..

قلت مفاخرة: من هرينسكو.

- هرينسكو..! أين تقع هرينسكو؟.

- في جمهورية التشيك.

أدار نظره إلي اللاشيء وتمتم بعض كلمات بالعربية بصوت خفيض يكاد يُسمع فتلمست بعضا مما يدور بداخله وقلت أيضا: أعلم أنك قد تتسائل كيف لي أن أترك التشيك وأتي للعيش هنا؟.

فأجابني: لم أعد أندهش، الكثير من يهود العالم بات يترك موطنه ويأتي للعيش هنا. ثم أضاف ساخرا: أنظري هناك كنز مختبئ في كل مكان حولنا.

تجاهلت سخريته وقلت: حسنا لكنني سأخبرك، هي رغبة والداي الكبيره والتي رضخت لها في نهاية الأمر بالمجئ إلي هنا وأنا ما كنت يوما أترك مكان ولادتي.

- ألهذه الحد تحبين موطنك. قالها بجدية

فأخبرته: أحيانا يخيل لي أنني أصبحت خائنة له حتي أتاني هذا الشعور علي هيئة كوابيس في الليإلي الأولي عندما قمت بهجره لكنني أدركت بعد ذلك أن الإنتماء ليس بتواجدي فيه بل بما يحتله من مكانه في قلبي حتي بات يراودني شعور صادق بأنني سأعود إليه مجددا.

- نعم هذا صحيح، لابد من يوم يعود فيه الجميع إلي موطنه. قالها بفرط حرارة إنتمائه إلي وطنه، وطنه الحزين..

في هذا الحين علا صوت النداء الذي يحمل المسلمين علي أداء صلاتهم، تردد علي مسمعي بطريقة أكثر وضوح من ذي قبل حينها أدركت أن الوقت قد داهمني وتأخرت كثيرا، هممت بالمغادرة بعد أن أجبرني الحديث معه علي الجلوس علي صخرة بجانب تلك الشجرة حيث عثرت عليه خلفها قائلة: يتوجب عليا العودة الأن.

وذهبت نحو ذلك الإتجاه الذي تسلقت منه التلة عائدة لكنه أوقفني قائلا: ليس من هنا هذه المرة.

- ماذا تعني؟.

- أعني أن هناك طريقا آخر ممهدا وأكثر أمانا من الأفضل أن تسلكيه.

قلت خافضة نبرة صوتي ومازحة في الوقت ذاته: في الخفاء.. ؟!

مبادلا معي المزاح: نعم في الخفاء. مبتسما

دلني عليه وبالفعل لم يستغرق الأمر عناءا كبير بل زمن قصير في العودة.

عندما عدت إلي المنزل، كانت والدتي مازالت بالخارج فحمدت الرب كثيرا، إنهم يصرون علي ملازمتي للمنزل طيلة الوقت وعندما سنحت لي الفرصة للخروج ولو قليلا قمت بهذه الفعلة المجنونة حتي إذا حدث وعلموا بها لن يصدقوا في البداية لكن هذا ما حدث إليوم وأظنه سيتكرر ثانية ربما غدا أو في غداة الغد لا أدري.

********

# الفصل السابع

جلست داخل السيارة بعد أن أبدلت مكان صفها بالقرب من المطعم ، تتسائل في غرابة من نفسها: ما الذي فعلته؟، قمت بتوبيخ عامل المطعم دون ذنب ارتكبه وأهنت ليون المسالم بشكل لا يصدق، أاه من هذه الحياة ستتمني أن لا تؤذي أحد لكنك ستجبر وتفعل ذلك.

كانت فداحة فعلتها أكبر من لذة التخلص من أمر ليون يالها من جلدات للذات توجهها لنفسها الأن..

قامت بالتخلص من بعض مظاهر المباهاة والبهرجة المبالغة فيما ارتدته وتقمصته في شخصيتها وعادت جولين الفتاة البسيطة الجيدة والبريئة كما إعتاد الجميع منها، همت بالتحرك تطالع مرآة السيارة الجانبيه فلاحظت ذلك النادل يغادر المطعم في حنق شديد متجهم الوجه بعد أن بدل ملابسه، أوقفت محرك السيارة ثانية ودون تفكير غادرتها سيرا نحوه بنية الإعتذار الشديد عما بدر منها من سوء خلق تجاهه وإظهار احترامها الكبير له..

عندما إقتربت منه قالت بعفوية: أنا أسفة جدا لم أقصد إهانتك وأن يحدث كل هذا.

لم يتفوه بكلمة واحدة بل ازدادت عينيه اتساعا واستشاط غضبا كأنه يفكر كيف يمكن أن يرد الدين وينال منها بقسوة في أرض محايدة خارج أرجاء المطعم الذي يعمل فيه، رجعت خطوتين إلي الخلف مشدوهة جدا من

ملامحه التي ازدادت تجهم وغضب فور رؤيته لها وتوقعت منه سلوكا عدائيا غير محسوب مثل أن يأخذ بشتمها وتعنيفها، أدركت حينها أنه عقابا تستحقه لما فعلت معه منذ قليل بالداخل واذا قام بغير ذلك يصبح شخصا متسامحا إلي أقصي درجة وهذا يعني أنه ساذجا يقلل من كرامته كثيرا، لابد له من ردة فعل قاسيه لا محال ارضاءا لكرامته..

إقترب منها خطوتين معادلا المسافة التي إبتعدت بها عنه قائلا بعصبية عبارات متلاحقة: أتعتقدين أنك أفضل مني شأنا.. هؤلاء المتعجرفون المتكبرون أمثالك ليس لهم قيمة سوي أن المال يعطيهم تلك القوة في إهانتنا.. يمكنني معاملتك بالمثل لكني أفضل منك حالا.

لم ترد أو بالأحري لم تعرف بماذا تجيب، فقط وقفت منتصبة أمامه تتلقي تلك الكلمات فاغرة فاها، إستفزه صمتها فعاد قائلا: الأن تصمتين، أين ذهبت كلماتك واهاناتك للآخرين؟.

إبتلعت ريقها وكأن كلماته إخترقت فمها وأذنها معا، أدركت أن الشتائم والتطاول بقوة الجسد شيء صغيرا جدا مقارنة بكلمات كتلك يمكن أن يوجهها أحد فيسحق بها روح شخص آخر.

قالت في ضعف: كفي الأن، أنا لست كذلك.

- نعم فهمت الأن، أنت من الملائكة أليس كذلك؟. وأردف: لقد إشتبك ذلك الرجل معي بالداخل من أجلك فقمت بلكمه بقوة ولم أنتظر حتي يقوموا بطردي وأنتي تناقشين معي أنك لست كذلك؟!

- اهدأ قليلا واسمعني، أنا مدانة لك بكامل الإعتذار أعلم ذلك لكنني حقا لست كما تظن.. حسنا ثق بي واذهب معي سأخبرك بكل شيء. وهي تسحبه من يده وما له الا أن انصاع لها وركبا معا السيارة.

رمقته أثناء القيادة، كان يجلس بجانبها وكأن سحابة سوداء قد احتلت سماء محياه ثم أدارت نظرها للطريق مجددا، وفي لحظة ما قررت أن تبادله بعض الكلمات لعل هذه السحابه تنقشع وتنجلي قائلة في لين: لكنَتك غريبه، من أي ولايه أنت؟.

لكنه مازال كالح الهيئه عابس الوجه موجها نظره إلي نقطة واحدة علي الطريق لا يغيرها، ظل هكذا.. انه يفكر، فيما يفكر لا تدري..

قطعت منهاتن بطريقة عرضية قاصدة أقرب شواطئها الساحلية وبعد أن أوقفت المحرك تماما تركته بالداخل وجلست هي علي واجهة السيارة من الأمام، ظلا هكذا بضع دقائق، يرها من الداخل عبر الزجاج شاردة تطالع مشهد البحر ليلا.. شاردة ولا تحرك ساكنا.. انها تفكر، فيما تفكر لا يدري..

هم بترك السيارة هو الأخر بعد أن تسلل إليه سأم الجلوس بمفرده بنية سؤالها فقال حانقا: ماذا نفعل هنا. ولما اقترب منها لاحظ الدموع تتساقط من عينيها وقد بللت خديها.. كانت تبكي في صمت وهدوء، كانت ولازالت تبكي، حينها أدرك شيئا وهو أنها أضعف بكثير من تلك الفتاة التي شاهدها تلقي بالإتهامات والإهانات وتحدث جلبه وضجه كبيره داخل المطعم فعندما تضيق الحياة وتشتد تتولد الرغبة لدي البشر بأن يصبحوا أناس آخرين غير ما تنطوي عليه أنفسهم، أناس أكثر شدة وقسوة مما يحملوه بداخلهم من لين

وعطف لكنها الأن عادت إلي نفسها الأولي بعد أن أرهقت روحها بأفعال شخص آخر قاس صلف لا تعرف كيف تسلل إليها وتملكها وحينها صدق قولها حين أخبرته: كفي، أنا لست كذلك.

أدركت وجوده بجانبها فمحت أثر الدموع بكلتا يديها وتوقفت قنواتها الدمعية عن ارسال المزيد من آلامها الداخلية الغير معلنة، أشفق عليها كثيرا وخيل لنفسه أنه هو الغريب الذي تود أن تشاطره بعض من آلامها وتفصح له عن شيئا من أوجاعها ويتفرقا مجددا، هنا نسي تماما أمر ما حدث معه وانصب اهتمامه علي مواساتها قائلا: أيستحق الأمر كل هذه الدموع ؟.

قالت : لا أدري لكن يبدو أنه كذلك.

ثم أخرجت من جيب معطفها علبة صغيره تضم أقراص دواء ، تناولت ما لا يقل عن ثلاثة دفعة واحدة، ظن حينها أنها تتعاطي بعض المهدئات لتحسين حالتها المزاجية أو شيء من هذا القبيل مستبعدا فكرة أنها تهم بالإنتحار بجرعه زائدة علي سبيل المثال فمن يريد الانتحار لا يبكي قبله ولا يبوح به ولا يفعله هكذا في العلن بل يتركه أمر مفاجئ غير متوقع للآخرين فقد سأم من كل هذا..

فجأة وجدها تبتسم، كانت إبتسامة مدفوعة من الداخل بسخرية ثم قالت: أنا لا أعرف ماهية وجعي. وهي لا تزال موجة نظرها نحو البحر، ربما لا تريد النظر إليه حتي لا ينعكس لها ضعفها وانكسارها في نظراته التي تحمل التعاطف والشفقة نحوها، لم يقاطعها وتركها تأخذ وقتها كاملا في صياغة الكلمات التي تعبر عن مدي حزنها الشديد حتي أخذت تحكي علي مهل: أحسب

نفسي شخص ضعيف.. أتطاير في طرقات الحياة ودروبها.. شخص ذا روح شفافه لكنها دون ارادة تتخذ ألوانا عديده مثل الحرباء.

كانت تقول هذا بطريقة متقطعة وبتنهد طويل وأنفاس دافئة وعينين تتحرك حدقتهما بطريقه مريبة كمن يري رؤيا متشائمة في واقع آخر يحمل أحداثا غير سعيده وأكملت: في الكثير من الأحيان تضيق عليا منهاتن ببحرها الذي كتب عليها أن يحاصرها من كل اتجاه.. شيئا ما بداخلي يريد التحليق بعيدا إلي عالم آخر يهفو إليه قلبي وأتلمس إنسجام روحي معه.. في ساعات الغروب وظل البيوت مازال مرتسم أمامي علي الدروب حينها تنشط ذاكرة روحي لتذكرني أنني قطعه ليست في مكانها الصحيح ليثير ذلك في نفسي كآبة ووحشة الزمان والمكان..

ثم تنهدت مجددا وتفرست أمواج بحر منهاتن قائلة: ليتني نقطة في هذا البحر تلتصق بأخري من صديقاتها حينها أنهار مع المنهارين وأثور مع الثائرين حتي لو لم أكن كذلك فلن يلاحظ أحد ذلك لكن في هذه الحياة كل شخص يُري بمفرده وهذه يرهقني كثيرا ويجبرني علي التلون وأنا لم أجيد التلون يوما ولا أريد أن أصبح كالحرباء مجددا.

أخذت تردد: لا أريد أن أصبح كالحرباء مجددا. عدة مرات بصوت يقل سماعه بعد كل مرة حتي شعرت بثقل رأسها فأرجعت ظهرها إلي الخلف وغفت علي واجهة السيارة تاركة إياه يفسر لنفسه بعضا مما قالت لكنه لم يدرك حقيقة ما يعتمل بها وما تمر به ربما لأنها كانت تتحدث تحت تأثير عاطفة شديدة جعلتها تلقي ما بداخلها من أفكار غير مجسدة بأشخاص أو

أحداث واضحه..

بضع دقائق مرت حاول إفاقتها لكنها كانت نائمة مُسجاة علي مقدمة السيارة دون وعي، لم يكن نوما عاديا بل كان عميقا بتأثير تلك الأقراص التي إبتلعتها منذ قليل فما كان منه إلا أن حملها داخل السيارة بعد تأكده أنها تلتقط أنفاسها بطريقة طبيعية وأخذ يبحث عن بطاقة هوية أو شيئا يحمل عنوانا لها لكن دون جدوي، شعر حينها أنه في ورطة كبيرة.

********

# الفصل الثامن

يوم جديد قد تهيئت فيه الأمور للذهاب إلي التلة مجددا، بشغف كبير ورغبة ملحة رحت أتخفي عن أنظار الجميع حتي خرجت من الحي وتسللت إلي ذلك المكان السري الذي يقودني علي حد قوله "في الخفاء" إلي الأعلي دون عناء كبير مستغرقة وقت قصير في العبور إلي الجهة المقابلة، لكنني كنت أكثر حذرا وحرص من ذي قبل خوفا من أن ينكشف أمري أو يعلم به أحد.

قصدت تلك الشجرة الكبيرة التي عثرت عليه خلفها لكنني لم أجده فشعرت بخيبة أمل كبيرة ألمت بي فنشوتي بفرح الصعود إلي القمة مجددا قد زالت، لطالما كنت من الأشخاص الذين يفقدون شغفهم بأشياء قد فعلوها من قبل لكنني لم أجده مثل البارحة وهذا ما أزعجني، رحت أحدق في محيط المنطقة بالكامل، لم يكن سوي صوت زقزقة عصافير لا تكل ولا تمل من الوقوف علي الأغصان والتحليق مجددا كأنها تتسائل من تلك الغريبه التي تسللت إلي مملكتنا؟، أو ربما كان ترحيبا بي علي طريقتهم الخاصة والتي بالطبع لا أفطنها، علي أية حال أدركت أنني أبكرت بالذهاب أو بالأحري صعودي إلي التلة اتخذ وقتا قصيرا في التسلق عن البارحة فما كان لي إلا أن اضطررت للجلوس خلف تلك الشجرة وقضاء بعض الوقت علي أمل رؤيته مجددا.

جالت في ذهني أفكار عدة، كان أبرزها: ما الفائدة من ذلك؟، أنا لا أعلم حتي الأن ما الدافع وراء كل ذلك سوي أنها مغامرة أعزي بها نفسي لمغادرة هرينسكو حتي أنني بدأت أشفق علي نفسي من أفعإلي تلك وعلي حين غرة حلقت العصافير مبتعدة عن أشجار التلة بطريقة مريبة في وقت واحد، فزعت لذلك وتوجست شيئا مريعا سيعقبه أمر جلل فإنتفضت من جلستي تحت الشجرة ودقات قلبي تتسارع داخل صدري وإبان ذلك سمعت أزيز طائرات بعيدة تقترب شيئا فشيئا حتي ملئت سماء التلة، عدت والتصقت بالشجرة مجددا كأننا قطعة واحدة متخفية وانتظرت رحيلها لكنها أخذت تحوم في سماء المنطقه علي ارتفاعات منخفضه فلم أحرك ساكنا وانتظرت..

كانت أشكالها وحشية وأصواتها مرعبة وفجأة دوي صفير طلقة من إحداهم ليرسم خط ابيض في الهواء انتهي وسط أشجار التلة الكثيفة علي مسافة ليست بالقريبة من موقعي لكن وبعد أقل من دقيقة إنعدمت الرؤية أمامي وأصبح الهواء ملوثا يكاد يصيبني بالعمي ورغبة كبيرة بالسعال هنا أردت التحرك والأبتعاد رغما عني كان أمامي طريقين، الأول طريق العودة لكنه مكشوف نوعا ما وستصبح مجازفة كبيرة اذا سلكته مجددا أما الطريق الثاني هو عندما أشار لي بيده إلي قريته أسفل التلة تلك الجهة كثيفة الأشجار، في ثوان كان عليا إتخاذ القرار وإلا سأموت اختناقا هنا، بدا لي الخيارالثاني أكثر أمانا، أنا بالطبع لن أقصد القرية نفسها لكن الإختباء بالقرب منها يصبح أكثر أمانا وبالفعل شرعت في ذلك..

إتجهت إلي الأسفل اتمسك بما تقابلني من أشجار واحدة تلو الأخري لكن الرائحة لا تهدأ أبدا وأخذت في الإنتشار بطريقة أكثر تأثيرا، الرؤية إنعدمت أمامي والتنفس أصبح تلك الرائحة فقط مفتقدة رئتاي إلي الأكسجين، عيناي تدمعان دون إرادة وأسعل بقوة، سقطت أرضا فاقدة الكثير من قوتي وتحملي، يكاد يغمي عليا حتي فوجئت بمن وضع علي فمي قطعة قماش مبللة ولثمني بها، ظننت أنه من تلك الأشرار فأخذت أقاومه بما تبقي لي من قوة حتي أخبرني أنه ذلك الفتي الذي صادفته علي القمة بالأمس، إنهارت علي يده تماما فقام بحملي..

أفقت من تلك الإغماءة فأدركت نفسي وسط العديد من رجال ونساء وأطفال وفتيان داخل تجويف أرضي مغلق، تضيء لنا مصابيح كيروسين يدوية ذات رائحة نفاذة وإنارة خافتة، بالكاد أستطيع تمييز وجوه من حولي، سمعت كلمات عربية ترتل وأخري تلمست منها خشوع وتضرع موجهة إلي السماء، تلك الكلمات الموجهة إلي الرب دائما لا تعرف لغة معينة حتي أدركها..

فجاة في وسط هذا الزحام أظهر لي وجهه بوضوح لثوان، إنه هو، رؤيته بعثت في نفسي طمئنينة علي الفور بعد ظني أنني تهت أو ضعت، تأملت ذلك الرداء الطويل الفضفاض علي جسدي فأدركت أنه قد البسني إياه فجعلني أشبههم تماما.

بعد حين إرتفعت أصوات صفير عالية في السماء وكأن شيئا هائلا مدمرا يعبر فوق رؤسنا، تمسك الجميع ببعضه بطريقة تلقائية عفوية،

الأمهات محتضنة صغارها وأصوات دعاء لا أفطنها تعلو أكثر من ذي قبل، تملكني الرعب حينها ثم دوي صوت إنفجارات شديدة صمت آذاننا وأفقدتها القدرة علي السمع، الأرض تهتز بكل كيانها تحت أقدامنا ظننت لوهلة أنها ستبتلعنا في باطنها لا محال وسنصبح جزئ منها عما قريب، تلك الحظات المرعبة القاسية حللت جسدي لذرات واختبرت فيها الموت بلحظاته الوشيكة فكنت كمن ينتظر أن يحل به في وقت قريب، أاه رباه متي ينتهي هذا الكابوس، إستمر ذلك عدة مرات متتابعه متتإلية تعصف الغارات دون رحمة بأرواحنا قبل أهدافها أدركت من خلالها أن كوابيس الحياة أكثر فزعا وأشد قسوة من تلك التي تباغتنا ليلا أثناء النوم حتي هدئة الأمور تماما، ظلت أذني تطن من شدة الإنفجارات المتتابعة وجسدي يرتعد ويرتعش من لحظاتها المرعبة لكن ما أعانني علي تلك الأوقات العصيبة هي يده التي لم تترك يدي، كان يربت عليها بقوة في أكثر الأوقات رعبا وفزعا وكأنه يخبرني: سنكون بخير، سنصبح بخير. وبعد حين إختفي من جانبي ولم أعد ألاحظ وجوده.

لكم أن تتخيلوا أنني فتاة تحيا مأساة كانت بعيدة عنها مئات الكيلو مترات في أرض لم تعرف سوي الهدوء والسكينة الدائمة وأن أكثر ما كان يعكر صفوها هو تجمد بحيراتها في صقيع شتائها مكتفية بمظاهر الحياة تحت جليدها، كنت أعتقد حينها أن أكثر ما يحل بالإنسان شرا هو أن يحيا أيامه في وحدة يائسا بائسا من أمره ليدفعه ذلك في التفكير بالإنتحار حتي يهم به، هل كنت بهذه السذاجه حقا؟!.

في الصباح كنت أسأل نفسي ما الفائدة من ذلك؟ كنت أعتقد أنها

مغامرة راقت لي وأن قهر التلة بتسلقها هو أكبر انتصاراتي، الأن أدركت ما هو أكبر من ذلك، أضافت لي تلك الساعات القليلة المنقضية معان جديدة للحياة، صرت أراها بطريقة مغايرة عن ذي قبل بعد أن تأرجحت روحي بين عالمين أقامر بها في عالم الوجود، قدم هنا وقدم هناك وأنا في منتصف الحدث أجاهد وأكافح إما أن أبقي وأشارك مع الطبيعة أكسجيني او أعيد لها مكوناتها من جديد.

********

كم الوقت الأن؟، لا أدري، ما من ضوء بسيط يتسلل إلي الداخل يخبرنا أننا ليلا أو مازال النهار قائما حتي أنني لا أعلم كم دمت في حالة إغمائي هذه، منفصلون ومنعزلون عما يدور بالخارج او بالأحري ما يحدث فوق الأرض، كانت الأصوات حولي عشوائية متداخلة وعديد من أحاديث جانبية منفصلة لم أفهمها بالطبع، إنتحيت ركنا شبه مظلم أرقب منه ما يدور حولي، كانت حالتي يرثي لها فأنا لم أشهد يوما عذابا دنيويا مثل هذا مسبقا، محتجزة وسط أناس لا أنتمي إليهم ولا أفقه أية كلمة من لغتهم وسط خطر داهم يهدد أرواحنا في حين أن والداي من المؤكد أنهم قد دخلوا في حالة ذعر وخوف شديد جراء إختفاء إبنتهم الوحيدة كل هذا الوقت.

علا صوت رجل يصيح مرددا: عامر.. عامر.

إنتبه الجميع حينئذ وخيم الصمت تماما حتي إنتفض أحد ما من بين الظلمة مسرعا أدركت حينها أنه هو، يدعي عامر، نقش هذا الإسم عندئذ في ذاكرتي بصوت ذلك الرجل وهو يصيح: عامر.. عامر.

دار بينهم حديث قصير وفي نهايته إتخذ الحديث حميمية كبيرة حتي إحتضن ذلك الرجل عامر بعطف شديد أدركت حينها أنه أباه ثم انتقي أحد المصابيح قوية الإضاءه وهم بطريق الخروج حتي أختفي أثره تماما وسط ظلمة المكان..

مر ما يقارب نصف الساعة ومن ثم اكتملت وهو مازال بالخارج حتي أصبح الجميع متأهبا آملا في عودته مجددا، صرت أدعو له أنا أيضا علي طريقتي وبلغتي داخل أعماقي كي يعود سالما وبعد دقائق قليله إستشعر الجميع صوت ما يقترب من وسط الظلمة، حبس ذلك الأنفاس لثوان حتي تبين أنه هو عامر قد عاد بمصباح منطفئ حاملا معه الكثير من المواد الغذائية، عم الإرتياح بين الجميع وازداد ذلك أكثر عندما تلمسوا في قسمات وجهه المطمئنه أخبارا سارة ، تأكد لي ذلك عندما انعكست علي وجوههم حين تبادلوا معه بعض أطراف الأحاديث.

شرع الجميع في توزيع المواد الغذائيه وبينما أنا ورغم إحساسي الشديد بالجوع أيضا لم أدر نظري عنه حتي تحين الوقت المناسب ومد لي يده بالطعام قائلا بصوت خفيض رغبة في أن لا يسمع أحد: كيف حالك الأن؟، لابد أنك جائعه.

أخذت الطعام من يده ثم نظرت في عينه مباشرة وأجبته بضعف: أنا لست بخير تماما.

إبتسم لي حينها وأنا لا أدري أهي ابتسامة فرج قريب أم أنها مواساة منه ليبعث في نفسي مزيد من القوه والتحمل حتي أخبرني: لا تقلقي، ستتوقف الغارات في الساعات القليله المقبلة وينتهي كل شيء عما قريب.

وأردف: علمت ذلك من الراديو عندما كنت بالخارج.

قلت له في خوف : أصعدت التلة مجددا؟.

إبتسم لي مرة أخري لكنها كانت إبتسامة ثقة تنبئ عن قوة قائلا: إنها لُعبتي. ثم أكمل مازحا: لكن يبدو أنه لست وحدي من يجرؤ علي تسلق قمتها في الأوقات الخطرة أيضا. في إشارة إلي..

حملتني مزحته علي الإبتسام أيضا ثم عاد ليخبرني: أنظري إلي تلك السيده هناك.

قلت: تلك السيدة..! تبدو أنها حامل وفي شهر متقدم أيضا.

- نعم انها والدتي وهي الأن في شهرها السادس.

قلت في إندهاش كما لو أن ما نمر به الأن شيء من مغامرة: لابد من أن الجنين يعي بكل ما نمر به الأن.

- نتوقع أنها فتاة وقد اخترت لها إسم "جميلة".

أجبته متسائلة: وماذا يعني ذلك؟. فأخبرني أنها ستحظي بالكثير من الجمال.

رحت أخبر نفسي حينها: في ظروف كتلك ستحظي بكثير من الجمال والقوه أيضا.

ثم تركني أتناول ما أحضره لي من طعام.

وسط أعماق الخطر والأوقات العصيبة والمصائر الضبابية المجهولة هناك دائما أمل قد بزغ نورا له ، شيء قد بدأت تدب فيه الحياة لينبئ عن بدايه جديدة، ما كنت لأدرك ذلك لو شاهدته في عشرات الأفلام أو قرئته في مئات الكتب أو حتي في حكايا القدامي لكنني عايشته وانغمست في تفاصيله الدقيقة بكامل كياني حتي بت أعي تماما معان كثيرة حقيقية عن هذه الحياة ما كنت لأدركها طوال حياتي.

********

غفي الجميع من شدة الإرهاق والتعب آملين في الإستيقاظ علي واقع مغاير تماما لما تركوه وراء أنفاسهم الحية أو علي الأقل رؤية عالم آخر مسالم إبان أنفاسهم الحالمة، نال التعب والإرهاق من جسدي أيضا يطالبني بالنوم لكن روحي كانت تأبي ذلك حتي قررت أن أغلق عيني لعدة دقائق فقط وعندما أفقت أدركت أنني سقطت في نوم عميق إمتد لساعات طويله لا أعلم عددها، ما حملني علي الإستيقاظ تلك الأصوات العاليه المتداخلة والعشوائية من حولي فلولاها ما أفقت لكنها كانت تعلوا أكثر من أي وقت مضي حتي أنني تلمست في وجوههم وضحكاتهم وكلماتهم شيء من الراحة والسعادة المفرطة حينها رحت أبحث عن عامر بين الجميع لكن دون جدوي، ظننت أنه ينتحي ركننا مظلما مثلي أيضا لكن لم يمضي الكثير من الوقت حتي فوجئت به يخرج من وسط الظلمة بتلك الكيفية في المرة السابقة ليلتف حوله الجميع وعندما بدأ بنطق أول بنت شفة له صاحوا مهللين في فرح كبير و بدأوا في الخروج مسرعين..

التزمت الجلوس في مكاني في حين أن عيناه أيضا كانت ترمقني من بعيد وكأنه يخبرني: لا تقلقي، لم أنس أمرك. في النهاية لا أستطيع الخروج مثلما يفعلون أو حتي التسلل من بينهم متخفية في ذلك الزي الذي يسمح لي بذلك حتي أنني أيضا لا أعلم أين أنا تحديدا ففضلت الإنتظار.

أوقف أباه وتهيئ ليقيم معه حوار، بدا في ملامحه بعض الإرتباك والحيرة كنت أشاهد ذلك من بعيد، العبارت تخرج من شفتيه ثقيلة مترددة ووالده ينصت له بإنتباه تام حتي فوجئت بعامر ينظر لي ومن ثم تبعه أباه أيضا يرمقني ويتفرس ملامحي وسط ذلك المكان شبه المظلم لكن لم تكن نظرات أبيه عاديه بل كانت قاسيه متجهمه حتي حدث شيئا اهتز له كل كياني ، وجدت عامر يتلقي من أبيه لطمة قوية علي وجهه أردت حينها أن تبتلعني الأرض ولا أشاهده يتأذي بسببي أردت لو أن الظلمة تجذبني وتسحبني لأختفي داخل أعماقها السحيقة..

خيم الصمت بينهم لثوان ينظر كل منهما في اتجاه معاكس ومغاير للآخر وكأن عامر ينتظر من أبيه شيئا ما ، شيئا استثنائيا، بينما أخذ أبيه يفكر ويفكر.. حتي أخبر عامر كلمات كانت قليله خرجت من فمه علي مضض فما من عامر إلا أن قبل يد أبيه وأقبل نحوي مسرعا ومازالت نظرات أبيه موجهة صوبي لا تخلو من التجهم والغضب الحاد..

التقط مصباحا وأمسك بيدي يخبرني : هيا الأن، لا يوجد أمامنا متسع من الوقت. فما كان لي إلا أن انسقت خلفه مباشرة..

سلكنا طريقا أخر مغايرا لما خرج منه الجيمع، طريق بدا من ضوء

المصباح أنه ضيق جدا قليل الأكسجين وغير ممهد للسير إليسير مثل الأنفاق تماما لكنه كان أكثر رداءة، وعند نقطة معينه أزاح عامر السقف بيده فإذا بالضوء يغمر عيني مباشرة ، شعرت بحرقه شديده فأغمضتها بتلقائيه واستغرق الأمر بعض الوقت لتعتاد عيني الضوء مجددا..

رفعني إلي الأعلي لأجد نفسي في منتصف التلة تقريبا، كنا في بداية النهار أي أولي ساعاته الصباحيه وهذا يعني أنني قضيت يومين كاملين بالأسفل، أاه كم ذهلت لذلك ، مريومان دون أن أشهد لهما شروقا أو أراقب غروبا أو حتي تنكسر بعض آشعة الشمس علي جسدي، رحت أتخيل والداي قد فقدوا صوابهم تماما لإختفائي لكنني صرت قريبة جدا من العودة.

********

# الفصل التاسع

غرفة كبيرة بها سرير واحد ونافذه يتسلل من خلالها ضوء النهار، علي إليمين كوريدور ضيق يفضي إلي مطبخ صغيرودورة مياه مستقلة..

علي أرضية الغرفة أفاق حيث قضي الليل كله نائم، تفقدها علي الفراش ليجدها مازالت سابحة في نوم عميق لم تعرف مثله قط حتي ان ملابسها الفارهة المتآنقة لم تمنعها من ذلك ، نائمة علي ظهرها ترخي أطرافها علي كل جهات السرير مثل نومة الأطفال ، رأسها مائل نحو إليمين بإتجاه النافذه كزهرة عباد شمس تتبع الضوء والحياة اينما كان..

اقترب من هذه الجهه متأملا وجهها الصافي الهادئ القسمات وأخذ يخبرها في نفسه قائلا : تلك الشفتان المسالمتان قد وجهت لي بالأمس بعض الإهانات وتسببت في فقداني لعملي وتلك العينين الرقيقتين تحولت إلي عينا وحش ظالم وأخذت ترسل بنظرات عدائية قاسية صوبي لكن كل هذا تبدد كالدخان وها أنتي الأن هنا نائمة علي فراشي فوق وسادتي لا أقوي حتي علي افاقتك وإزعاجك بينما أنا قضيت الليل كله علي أرضية الغرفه كالغريب بلا مأوي.

ابتسم ساخرا وخبر نفسه : هؤلاء الأثرياء مهما بلغت بهم الأمور من ضيق يجدون من الحياة أفضلها دائما ونحن من يتوجب علينا التحمل لكنني راض تماما عن كل هذا فأنا لم أشاهد يوما قلب كسير مثل قلبها بالأمس.

وسرعان ما تحولت تلك الأبتسامه الساخره إلي محل امتنان وعرفان فقد خيل له أنها مساومة عادلة عقدها معه القدر حيث تجرد من عمله في مقابل أن تقاسمه تلك الحسناء ليله داخل غرفته البإليه لتعلق فيها رائحة عطرها الثمينه وانفاس من مصنع روحها الذكيه ثم عاد ليخبرها مجددا : أتعلمين أنني ما كنت لأتركك وأنتي بهذه الحاله غائبة عن الوعي بفعل تلك الأقراص ، هيئتك التي تغوي الكثيرين لسرقتك او حتي اختطافك داخل سيارة ثمنها وحده براتب عدة سنوات من عملي.

هم بالقيام دون احداث أي جلبة تحملها علي الإستيقاظ متوجها إلي غرفة المطبخ ، وعندما كان منشغلا بإعداد فطور الصباح سمع صوت انفاسها معلنة عن افاقتها ، عبر الكوريدور بأطراف أصابع قدميه دون أي دبيب وسرق نظره جانبيه للسرير فوجدها تتثائب وتمدد أطرافها بعد نوم طويل ثم أخذت تحدق في أنحاء الغرفه تستكشفها وقبل أن تدور زوبعة من أفكار وتكهنات مريبه في مخيلتها حول هذا المكان الغريب الذي وجدت نفسها فيه أخبرها علي الفور بصوت مرحب هادئ وودود : صباح الخير.

انتبهت إليه وأجابته دون أن تطالع عينيه : صباح الخير. في خجل شديد ألم بها

- أنا أعد الفطور الأن.

وتركها جالسة علي السرير تحك بيدها رأسها متألمة من صداع شديد استبد بها..

انقضت عدة دقائق ليعود بمائدة فطور صغيرة قدمها لها علي السرير ، بدأت بتناول بعض منه ، كان الفطور مرتبا جيد المذاق وذا رائحه شهيه فأخبرته بتلقائيه : أين تعملت كل هذا ؟.

- أنسيت أنني أعمل نادل في مطعم.

نظرت إليه مستعطفة إياه : أنا آسفه بشأن ما سببته لك بالأمس.

- لاتقلقي ، سأجد عملا آخر عما قريب.

لاحظ أنها جائعة للغايه تأكل بنهم شديد وشهوه مفرطه فلم يعمد إنهاء فطوره مسرعا بل ظل يصطنع الجوع حتي أنتهت هي أولا ثم عادت لتخبره : لم فعلت كل هذا ؟ ، كان بإمكانك أن تذهب وتتركني.

- كنتِ بحاله غير طبيعيه.

- أتمني أن لا أكون أكثرت بالحديث.

- لم أفهم الكثير لكن تلك الأقراص ساعدتك علي النوم بعد وقت قليل.

- نعم انها خاصة أبي ، سرقت بعض منها أنها تعمل جيدا وتساعدني علي النوم في أحيان كثيره.

نظرت إلي ساعة إليد خاصتها ثم انتفضت ونهضت من الفراش في الحال : يا إلهي لقد تأخرت كثيرا علي العمل.

تسائل : أين تعملين ؟.

ردت وهي تنتعل حذاؤها بجانب السرير: أعمل في مركز لتعليم البإليه.. وسط المدينة.

أخرجت مرآه صغيره من حقيبتها وتفحصت وجهها ثم أخبرته وهي علي عجل من أمرها : سأعرج عليك في وقت لاحق.

- حسنا أخبريني علي الأقل ما اسمك ؟.

- أنا جولي.

- وأنا..

قاطعته : سام.. كان اسمك مرفقا بزي المطعم. وغادرت مسرعة.

********

- أتيت متأخره إليوم.

هكذا أخبرتها زوي فور رؤيتها في صالة البإليه.

- كانت ليله مليئه بالمفاجئات حتي هذا الصباح.

زوي وهي بحالة من النشوي : وأنا أيضا لدي ما أخبرك به.

انقضت ساعات العمل بين الصغار، جولين شاردة طيله الوقت تفكر فيما حدث ليلة الأمس وزوي انتابتها حاله من السعاده الغامره تبعه نشاط مفرط حتي كف الصغار عن نعتها بالسلحفاه في ذلك إليوم بينما كيندي كانت علي حالتها المعتادة.

خرجت زوي رفقة جولين من مركز البإليه لتجد ماثيو ذلك الشاب الذي يعمل بأحد الأقسام النسائيه في المركز التجاري بانتظارها..

زوي في فرح : مرحبا ماثيو.

- مرحبا زوي.

- هذه جولين صديقتي.

وبعد أن تبادلا بعض كلمات الترحيب مالت إليها زوي تخبرها بهمس : قلت لك لدي ما أخبرك به. ثم أضافت : لقد طلب مني الخروج برفقته إليوم ، فوافقت علي الفور.

- حسنا لكن ستخبريني بكل شيء لاحقا.

وذهبا معا.

لم تعد إلي المنزل مباشرة بل قصدت الذهاب إلي بيت سام المتواضع مجددا والذي يبعد عن وسط منهاتن قرابة الخمس دقائق سيرا في أحد شوارعها الجانبيه حيث لم يجد ضجيجها طريقا إلي هناك ، دقت جرس الباب عدة مرات تبعته بالنقر عليه لكن دون جدوي ، يبدو أنه بالخارج ، فضلت الجلوس وانتظاره بضع دقائق حتي تملكها السأم فقامت بترك ورقه كتبت عليها ( سأنتظرك في بابو غدا السادسه مساء.. جولي ) وأرسلتها بالداخل.

في نهاية إليوم عادت إلي المنزل ، كان في انتظارها ميتشل أريسون ثائرا وعلي وجهه العديد علامات الإستفهام والأسئله يريد توجيهها إلي ابنته الغائبه منذ يوم تقريبا ، كانت تعي ذلك جيدا لكنها وضعت ثلجا علي كل هذا وتحججت بزوي تلك الصديقه الجديده والتي لا يعلم بشأنها حتي الأن..

- يبدو أنها فتاة جيدة ، يمكنك دعوتها في أي وقت للتعرف عليها.

فأجابته : نعم انها كذلك ، لقد قضيت ليله رائعه برفقتها حتي نسيت أن أخبرك بذلك.

- لقد كنت قلقا جدا لكن لا بأس. وأضاف : سأغادر في الغد إلي ميشيغان لدي اجتماع هام ليومان.

- حسنا ، موفق يا أبي.

انتهي بها الأمر إلي غرفتها وسط اندهاش كبير، ظنت أن النقاش مع أبيها سيدور حول ليون وما فعلته معه بالأمس لكن يبدو أنه لا يعلم بالأمر حتي الأن أو أن ليون أخفي عنه بعض الحقيقة علي أية حال ما حدث لا يسمح بعودته مرة أخري حتي لو علم أبيها بحقيقة الأمر.

أغلقت الباب جيدا وأخرجت مدونتها من أعماق خزانة الملابس وانكبت عليها لتكتب: " كانت ليله استثنائيه في تاريجي لم أشهد لها مثيل من قبل وكأن روحي خرجت عن مدارها المألوف وسبحت في عالم آخر شعرت فيه بروحي أتلمسها وأحتضنها بيدي وأشفق عليها حتي أفقت علي فراشه ، نمت بقربه وكأنني لم أنم من قبل، كان جسدي يسجي في الليل ورحي تظل خائفة مرتعدة فأنهض صباحا علي كآبة الحياة لأجابهها لكنني في تلك الليله غفوت وأفقت كالأطفال صافية عذبة وكأنني عدت معه إلي فجري الأول هانئة مطمئنة.

اليوم كذبت علي أبي، ورغم ما كان يحدث بيننا من جدال وصدام دائم إلا أنني لم ألجأ إلي تلك الطريقه من قبل لكنني ضللته فأراحني ويبدو أنني سأعمد تلك الطريقه لأبتاع راحتي في مرات عديدة مقبلة، أنا آسفه يا أبي لكن هذا ما جنته علينا نقاشاتنا الحادة دائما. "

********

في الصباح كان ميتشل أريسون قد غادر باكرا مما جعلها تنال قسطا كبيرا من النوم ، كان ذلك علي حساب تمارين الإحماء وفطور الصباح الذي لم يسعفها الوقت لهم، في الحقيقة كان ذلك عن نية وقصد فكثرة تفاصيل إليوم تشعرك بأن الشيء الهام الذي تريد انقضاء ساعات إليوم سريعا من أجله بعيدا جدا وهذا الشيء الهام بالنسبة لها هو مقابلة سام ، نعم فكانت خطتها وتدابيرها كلأتي: الصحو علي مهل، انتقاء زيا مناسبا يشبهها غير ذلك الذي كانت ترتديه من زهو ومباهاه، قضاء ساعات العمل في صالة البإليه ومن ثم تأتي مقابلة سام أخيرا، فما إذا وضعت معه تمارين الأحماء و طعام الفطور؟ لصنع ذلك يوما ممتلئ ومزدحم بالطبع.

في صالة البإليه كانت كيندي متغيبه فوجدت زوي الفرصة سانحه كي تسرد لها براحة كبيره ما حدث بينها وبين ماثيو في جولتهم داخل سنترال بارك بالأمس..

زوي في سعاده غامره: لم يترك يدي طيلة إليوم، أحببت ذلك كثيرا.

- يبدو أنه كان يكن لك مشاعر كبيره من قبل لكنه كان يتعثر بخجله الدائم.

- نعم كانت عيناه تخبراني بذلك أيضا.

جولين مازحة : أو انه اعتقد أنك غريبة الأطوار كثيرا.

لتنتصب زوي في حيره: أتعتقدين أنه كان خائفا مني طيلة هذه الفتره حقا ؟.

- بعد كل هذه القطع التي كنت تبتاعينها من القسم النسائي يوميا لا بالتأكيد ، بل يجب أن يخاف من كل فتيات المدينة.

لتتراجع زوي عن حيرتها : لا لا ، أعتقد بأن الكثير من الفتيات لا تحظي بقبله في الموعد الأول مثلي.

جولين في اندهاش : أحقا منحك قبله في موعدكم الأول؟.

زوي مبتسمة في نشوة ومقوم الأسنان يظهر من فكيها : نعم ، كانت قبله طويلة.

- قبله طويله وسط سنترال بارك..! هذا مثير جدا.

- لكنها كانت قُبلة ملساء ولم يدغدغ.

جولين بجديه: أنتبهي لحديثك، الصغار ينقلون تلك الكلمات للبيت دائما.

زوي: حسنا آسفه. وبصوت خفيض جدا عادت لتخبرها: لكنه لم يكن يدغدغ.

- هل حقا تفكرين في تلك الأمور من الأن.

- لا ربما يجب أن نترك بعض المساحه للتأكد من مشاعرنا أولا.

ثم عادت زوي تخبرها : وماذا عنك ؟ لقد أخبرتني أن ليلتك كانت مليئه بالمفاجآت أيضا.

جولين في حيره : نعم كانت كذلك لكن.. لا أدري ، الأمر معقد كثيرا.

- ما هذا..! أنت لم تخبريني شيئا.

- نعم ، لكن.. ربما تتضح لي بعض الأمور إليوم عندما أقابله في بابو.

زوي في حماسه مرددة : بابو..! ، وتخبريني أن الأمر معقد.

- نعم انه حقا كذلك.

- حسنا أثق بأنك تجيدين التعامل في مثل هذه الأمور.

جولين في قلة حيله : ربما لو امتلكت نصف ثقتك بي لكانت أموري أفضل الأن.

********

بعد أن أنهت العمل في مركز البإليه أسرعت بالذهاب إلي بابو قبل الموعد المحدد ، انه واحدا من أكبر مطاعم منهاتن وأشهرها لكن سبق كل هذا تغيرا كبيرا أحدثته في مظهرها، تغييرا مغايرا تماما عن تلك الليله المتقلبه والتي إلتقيا فيها لأول مره حيث إرتدت زيا تقليديا قديم الطراز من قطعة واحدة ذات حمالات علي الكتف ويمتد حتي الركبتين بألوان كلاسيكيه هادئه أعطتها أنوثة مهذبة، صفت خصلات شعرها إلي الخلف وصنعت لنفسها غره قصيره من الأمام زادتها نعومة ورقه..

دخل سام المطعم تائها مشتتا بين تفاصيله الصغيره الفارقه والتي لا يلاحظها سوي من إعتادوا العمل بالمطاعم أو كثيري التردد عليها وبين البحث عن جولين التي فضلت للمقابله ركنا هادئا مستقلا بعيدا عن أعين الكثيرين حتي اهتدي إليها دون عناء كبير..

جولين في غبطة لرؤيته انعكست علي وجهها: مرحبا سام ، شكرا لأنك لبيت دعوتي بالقدوم.

سام بعد أن جلس: من يوجه له الدعوه إلي بابو ولا يأتي ؟. قالها مبتسما..

- أردت أن اعتذرلك مجددا وأشكرك علي طعام الفطور الذي قدمته لي.

أجابها : لم أقدم الكثير، كان مجرد فطور.

- لا ، بل كان تصرف رائع منك.

اِنقضت ثوان من الصمت بينهم كانت جولين تَجول جنبات المطعم بعينيها ثم عادت وأخبرته : ما رأيك ببابو ؟ انه رائع إليس كذلك ؟!.

- بالطبع، انهم يتبعون أعلي معايير الجودة هنا ، ورقابة صارمة علي أدق التفاصيل أيضا وهذا ما جعلهم من فئة الخمسة نجوم.

لتخبره في حماسة: نعم انه واحدا من المطاعم المفضلة لدي في المدينة والتي لا أتردد في الذهاب إليها.

- اختيارا جيد.

لتخبره بنعومه : شكرا لك.

مرت ثوان صمت مجددا، انتابة جولين حاله من التوتر والخجل بعض الشيء وكأنها ليس تلك الفتاة التي قضت ليلة كاملة في بيته نائمة علي فراشه ، تسللت تلك الحاله إلي سام أيضا حتي بات مرتبكا وبدا غير معتاد علي أجواء المطاعم التي قضي سنوات من عمره في العمل بها وبدت له جولين التي يجلس رفقتها الأن فتاة مغايرة عن تلك الكارثية القاسية التي شهدها أول مره..

قاطع هذا الصمت الذي استبدت بحديثهم رجلا مهذبا مبتسما يرتدي زي المطعم الرسمي وخلفه أحد العاملين أيضا بدرجة أقل منه مرحبا بطريقة رسميه : مساء الخير أنسه جولين، تبدين رائعه إليوم.

أجابتة بإبتسامة متبادله تنم عن سابق معرفه قويه بينهم: مرحبا أيها العم لينون، انه لشرف كبير أن تستقبلني بنفسك إليوم.

- متشوق جدا لمعرفة أرائك حول أحدث وجباتنا.

لتجيبه: بالطبع سنقوم بتجربتها.

ثم ذهب وانصرف وسط دهشة سام الذي أخبرها علي الفور: انه كبير الطهاة هنا ونادرا ما يذهب لمقابلة الزبائن بنفسه.

- نعم لكنه صديق مقرب لوالدي.

سام متسائلا: وماذا يعمل والدك ؟.

- انه يرأس أحدى الجمعيات التي تقوم برعاية المعابد إليهوديه في البلاد.

ثم عادت جولين هذه المره متسائله : لكنك لم تخبرني ، لكنتك غريبه من أين أنت ؟.

- ترجع أصولي إلي بيرو..

جولين في اندهاش: بيرو..!

- نعم ، لكنني لم أذهب إلي هناك قط حيث هاجر أبي من بيرو إلي لويزيانا في الجنوب واستقر عدة سنوات، هناك تزوج من فتاة تدعي ماري ثم هجرته في السنه الأولي بعد أن أنجباني ، كان عاملا في أحد آبار البترول الواقعه علي بحر خليج المكسيك والتي ضربها إعصار جين ٢٠٠٤ حتي توفي حينها، أكملت دراستي بمنحة متوسطة في أحد جامعات لويزيانا الحكومية ثم قررت الهجرة إلي منهاتن هنا في الشمال منذ ثلاث سنوات.

- لابد أنك عانيت الكثيركونك أصبحت بلا أحد في سن صغير.

- نعم لكن كنت واقعيا جدا مع ذاتي بحيث كنت اعلم جيد ما اتمناه وما يمكنه أن يحدث فعليا.

اقتصرت علي النظر إليه بإعجاب قائلة : أنا آسفه بشأن والدك.

- لقد مر علي ذلك الكثير.

ثم قاما بتجربة بعض الوصفات الجديده في الطعام معا بتذكيه خاصه من العم لينون..

********

# الفصل العاشر

أخذت سارا بعض الأنفاس علي مهل ثم همت بسرد باقي الأحداث.. قاطعتها سابينا: مهلا قليلا.. أريد الأن أن أطرح عليك سؤالا.

أومأت سارا برأسها بلطف في موافقة حتي تسائلت : ما كانت حقيقة مشاعرك تجاه عامر حتي الأن ؟.. أعني أنه كان يقدم لك الكثير من التضحيات والمساعدات.

لاقي تساؤل سابينا إعجابا عند كل من فيرونكا ولينكا أيضا وكأنه أرضي بداخلهم فضولا كبيرا كان ينتابهم مما أثار في أعماقهم الكثير من الحماسة والتأهب حيال ما ستجيبهم به سارا والتي أخذت بدورها تبتسم بعذوبة ورقه مجيبة علي الفور: نعم كان كذلك بالفعل، كنت أنظر إليه نظرة بطل سينمائي خارق كأبطال أفلام هوليود لكنه بالطبع كان بطلا غير مشهور ولا يعلم عن بطولاته أحدا حتي ان أبطال هوليود ورغم ما تقابلهم من صعوبات ومعوقات مصطنعة يحدث وأن نجد من يصلي لهم داخل قاعات السينما ومن يشرع في البكاء عليهم داخل المنازل أمام التلفاز أيضا لكن دعونا من كل هذا السخف فأمثال عامر هم الأبطال الحقيقيون وأنا هنا لا أبالغ فمثلما يري الكثيرين في أفلامهم أبطالا خارقين كنت أري فيمن أنقذني وسط تلك الغازات السامة ومن أعانني علي تخطي عذاب يومين لم أشهد مثلهما في تاريجي من قبل بطلا خارقا يظهر لي في الوقت المناسب وينتشلني من واقع يكاد أن يفتك بروحي وهذا ما جعلني أقع في حبة بصدق منذ الوهلة

الأولي وما كان يقدمه لي دائما يزيد من ذلك الشعور بداخلي قوة وإيمانا.

ثم أردفت: لكن كم تمنيت أن تنتهي كل هذه المعاناة عند تلقيه تلك اللطمة من أبيه والتي أوجعتني قبل أن تؤلمه بل تسارعت الأحداث علي نحو مفاجئ وصادم، فبعد أن أصبحنا في منتصف التلة أخذنا علي حذر تسلق ما تبقي منها حتي أصبحنا علي القمة مجددا حينها أردت توديعه وداعا يليق بكل ما قدمه لي ولا أدري ما إذا كنت سأراه مجددا أو لن يكتب لنا القدر لقاءا آخر..

وقفت أمامه أطالع عينيه وكان عليا التحدث بشيء ما ، شيء يعبر عن مدي محبتي والإحترام الشديد الذي أكنه لذاته ، شيء يصف كم أنا مدانة له بكامل حياتي المقبله ، تمر الثوان ، ودت حينها لو احتفظت بكل ثانيه منهم علي حدي وعشتها مائة عام بجانبه..

أخبرني : حسنا.. أعتقد أنه عليك الذهاب الأن قبل أن يشتد ضوء النهار أكثر وتنكشف التلة.

- نعم لكن أود أن أتشكرك علي كل شيء فعلته من أجلي.

- إذا أردتِ أن تتشكريني حقا عديني بأن لا تصعدي التلة وتعرضين نفسك للمخاطر مجددا.

- حسنا أعدك.. لكن ماذا عنك ؟!.

- لا تقلقي، أنا أعرف كيف أتدبر أموري وأبقي نفسي في مأمن دائما.

حينها نظرت إليه مترجية : عدني بذلك.

- أنا أعدك بذلك الأن. و أضاف: هيا لا مزيد من الوقت عليك الذهاب الأن.

هممت بالعودة وأنا أطالعه بآخر النظرات ومن ثم بدأت في الإبتعاد عنه بضع مترات حتي أخبرني من بعيد : هاااي.. أيتها المغامره..؟!.

أدرت ظهري علي الفور مجددا فقام بسؤإلي: ألن تخبريني بإسمك ؟.

ابتسمت ضاحكة وقلت: سارا.. سارا أريسون.

- كوني بخير يا سارا أريسون.

- حسنا.. سأفعل.

وضعت قدمي لأبدأ أولي خطوات النزول والعودة مجددا حينها سمعت دوي صوت طلقه ناريه ، انتصبت لها كل ذرات جسدي ، وقفت فاغرة فاهي في اندهاش وعشرات المخاوف تنتابني مستبدة بمخيلتي ثم دوت أصوات طلقات ناريه متتإليه عندئذ صرخت: عامر.. عامر. ودون تفكير ركضت إلي الخلف مرة أخري، وجدته يختبئ خلف أحد الصخور الكبيره، تفاجئ وشده لرؤيتي أمامه مجددا وظل محدقا بي طويلا بأعين يملؤها الخوف والفرح في آن واحد ظنا منه أن إحدي هذه الطلقات قد أصابتني أو حل بي مكروها وعندما أدرك كل منا الأخر أنه بخير قام بإحتضاني، طوقني بذراعين قويتين حنونتين في الوقت ذاته وأنا أيضا بادلته ذات الشعور كنت أتعلق برقبته ويدي المرتجفتين تلتفان حوله في خوف يمتزج بطمئنينه أيضا..

ازدادت الطلقات من حولنا دويا وتأثيرا لا تهدأ كألعاب الفيديو، رأيتها تخترق الأشجار لتسكن وتستقر في أعماقها وتوقع بعض الأغصان بكثرتها،

وفي لحظة ما أمسك يدي بقوة وبدأنا بالركض لكن هذه المره ليس للأسفل بل علي القمة بطولها، نركض قليلا ونختبئ خلف الأشجار التي نابت بتلقي الطلقات بدلا من أجسامنا، واصلنا الركض حتي بت لا أري الحي الذي أسكنه ولا الأحياء المجاورة له، أصبح المحيط فارغ من حولنا ولا أدري أين أصبحنا لكن عند نقطة معينه أزال عامر بعض أغصان كانت قد ملئت مساحة ما علي الأرض لتتضح حفرة كبيره ألقينا أنفسنا بداخلها ثم أعاد الأغصان بنفس الكيفية مجددا تاركا بعض الضوء البسيط يتسلل منها إلي الداخل، صار أمر اختبائنا في وقت قصير وبإحترافية شديدة أيضا مثل أفلام الإثارة والحركه حتي أصبحنا في مأمن مختبئين بداخلها تماما.

في هذا المخبأ المظلم بمساحته الصغيره جدا كان ممسكا بيدي لا يسمح لي أن أفلتها حتي بعد أن هدئة أنفاسنا وسادت حاله من الصمت بيننا نتأهب القادم، مازالت أصوات الطلقات العشوائية تدوي علي التلة وهذا يعني أننا بمأمن ولم يكتشف أحد مكان إختبائنا.

تفوه ببعض الكلمات العربية وكأنه يشكر الرب علي تلك الدقائق العصيبه المنقضيه بسلام، وبعد حين أخرج ذلك الراديو الصغير من جيبة، أطال عمود الإرسال بغرض إلتقاط بعض الإذاعات بوضوح خافضا حدة الصوت مقربا إياه إلي أذنه، بعد حين جفل وفزع كثيرا لما سمعه وتجهمت ملامح وجهه يستشيط غضبا حتي نقل لي هذه الحاله فصرت أنا أيضا مذعورة مهمومة لما بدا عليه دون أن أعلم ما الذي يحدث..

سألته بتوتر وقلق: ماذا يحدث ؟!.. ماذا سمعت ؟!.

فأتاني الإجابه بطريقة مباشرة صادمة: يعتقدون أنني اختطفك ردا علي هذه الغارات في إليومين السابقين.

صعقت لسماعي هذا وصرت أصيح مرددة : لا هذا ليس صحيحا.. ليس صحيحا.

- انهم يرددون خبر اختفائك في كل الإذاعات.

دفعني ذلك للتساؤل: وماذا يجب أن أفعل الأن ؟.

أجابني علي الفور: يجب أن تعودي في أقرب وقت ممكن حيث أتيت. وأنا فور سماعي لذلك هممت بالخروج أبعد بيدي تلك الأغصان العالقه فوق رؤسنا لكنه أوقفني علي الفور قائلا : ليس الأن. لا يجب أن نخرج الأن.

هدئت ثائرتي بعض الشيء وسادت حالة من الصمت بيننا مجددا أخذت حينها أجلد ذاتي وأنعت نفسي بالحمقاء بداخلي حتي لاح ذلك علي وجهي بوضوح وكأني أحمل بيارق الحزن والأسي داخل أعماقي وتنعكس علي محياي ، عندما استشعر ذلك ربت علي يدي محاولا تخفيف هول الموقف بداخلي، لكنني لم أعد أحتمل المزيد فكلما اقتربت من الخلاص إزداد الأمر سوءا وكأنه كابوسا لا ينقطع وودت لو شيء ما يدفني إلي الأستيقاظ منه لأدرك كم كان قرار تسلق التلة سيجلب لي كل هذه المتاعب المتتاليه..

مرت قرابة الساعتين، كان منشغلا بتقطيع غصن شجرة بطريقة عشوائية بإستخدامه آلة حاده بدائية الصنع ظننت حينها أنه أخذ يخرج كل طاقاته العصبيه وشحناته السلبيه أو قهر شيء ما بداخله في ذلك الغصن

وجعله قطعا صغيره للغايه لكن بمرور الدقائق بدا الأمر وكأنه يصنع شيئا دقيقا بطريقه مرتبه حتي أدهشني ما انتهي إليه فقد صنع من غصن شجرة مهمل كان مصيره الإندثار تحت طبقات الأرض شيئا فنيا مبهرا ، تمثالا صغيرا مغمض العينين وكأنه يجمع انتباه العالم ليبعث في نفوسهم السلام والمحبه، اندهشت من أمره كثيرا كيف له في موقف عصيب كهذا أن يبدع شيئا فنيا بهذه الإحترافية المتقنة، نجح حينها في إخماد هول الأحداث المشتعلة من حولي ووجه جل تفكيري ومشاعري حول هذا التمثال الذي صنعه وقبل أن أنبس ببنت شفه أهداني إياه علي الفور..

أخبرته بإعجاب كبير: أنظر ماذا فعلت..!، أنت ماهر بصنع تلك ألأشياء. وكأنني اكتشفت أحد المواهب المخبأ بداخله للتو.

فأجابني: ليس ببراعة أبي. وأضاف: انه أفضل من يقوم بنحت تلك القطع منذ صغره قبل أن يترك يافا موطنه الأصلي ويأتي إلي هنا ويساعد الكثير من أهل القريه بتحويل أخشاب الزيتون إلي قطع فنيه مبهره كهذه حتي أصبحت الحرفه الأكثر انتشارا في القريه.

رددت في شرود: يافا..!. لكنه سمعني..

- نعم يافا، ما الأمر؟.

قلت: لا، لا شيء.

وخيم الصمت بيننا مجددا لكن هذه المره كنت أفكر في قرارة نفسي: يافا.. تلك المدينة التي تطل علي البحر والتي اختارها أبي كي نشد إليها الرحال وتصبح مكان اقامتنا الدائم، كانت موطن عامر وعائلته بالأساس.

حينها تلمست حقيقة بعض الأشياء والتي من شأنها جعلتني أنفر من نفسي نفورا لم أعهده من قبل واستبدت بي مشاعر حزن وأسي حيال ما حدث مع عائلة عامر قبل سنين عدة وازداد الأمر سوءا بداخلي عندما تذكرت قول أبي في ذلك إليوم: المستقبل هناك. ورحت أخبره في قرارة نفسي كما لو أنه يسمعني: أي مستقبل.. هذه جريمة يا أبي وأنا لن أشارك فيها مهما كلفني الأمر. ولكنني أدركت ذلك مؤخرا بل تطلب مني الأمر العناء والمجازفة بروحي، تذكرت أيضا ذلك السؤال الذي وجهته لنفسي في احدي المرات واصفة إياه بالجنون : أي الطرفين يجب أن أكون ؟. لكنه بات أكثر الأسئلة منطقية طرحتها في تاريخي، كنت عادلة جدا مع ذاتي حينها حتي كافئني القدر وأرسلني إلي هنا لأختبر اجابتها علي أرض الواقع.

********

مرت عدة ساعات كانت تتخللها طلقات نارية عشوائية ظلت تدوي علي قمة التلة في أوقات متفرقة لا يمكن التنبؤ بها وهذا ما جعلنا شبه محتجزين تماما في هذا المخبأ، جربت حينها كل شيء ينسيني هذا الملل لكن دون جدوي حتي أدركت جهاز الراديو الصغير يطل من جيب عامر، لم أطلبه لكنني تحينت الفرصة كي أفلته من جيبه بطريقه مباغته وأكسر بعضا من هذا الملل وعندما نجحت في تنفيذ حيلتي دخلت في نوبة ضحك مستمرة محاولا إسترجاع جهاز الراديو لكن محاولاته انتهت بالفشل فاستسلم لذلك..

حركت مؤشر البحث بعشوائية حتي توقفت عند موجة كانت تبث إحدي الأغنيات باللغة العربية وما ان انتهت واحدة حتي بدأت الثانية والتي سرقت جوارحي وأطربت آذاني بمجرد سماعي لموسيقي البداية وسرعان ما أدركت انها مأخوذة من أحدي سيمفونيات موتسارت الإبداعية وما ان بدأت تلك السيدة بصوتها الملائكي بالغناء بلغه مفرداتها غريبه علي مسامعي حتي ردد معها عامر أولي الكلمات في حماس..

يا أنا.. يا أنا.. أنا وياك صرنا القصص الغريبة

يا أنا.. يا أنا.. أنا وياك وانسرقت مكاتيبي

وعرفوا انك حبيبي وعرفوا انك حبيبي

كان يردد الكلمات ويتغني بها بإيمءت وتفاعلات متماشية مع الألحان ليعكس لي بعضا من معانيها، كنت أراه وهو يفعل ذلك بعيني المتآنس بمحبوبه انتابتني حينها رغبة كبيرة بأن أقوم مره أخري بإحتضانه لكن الظرف والتوقيت لا يسمحان لنا بتلك المشاعر..

يا أنا.. يا أنا.. هرب الصيف هربت عناقيد الزينة

وإذا ضيعني الهوى شي صيف بقلبك بتلاقيني

وخبيني ولا تخبيني.. خبيني ولا تخبيني

كان صوت تلك السيده والألحان يصنعان حاله من البهجة والسعادة الغامرة التي تنساب في نفوس سامعيها فلم تكن مجرد أغنية فحسب بل كانت بعض من السحر والفن يمتزجان معا مما أعاد لي تألق محياي وبريق روحي مجددا..

الشمس تميل نحو الغروب، يوما آخر ينقضي في ذلك الكابوس المرافق لي قرابة الثلاثة أيام حتي أتي المساء، تمددت علي ظهري أطالع السماء وهو بجابني بعد أن أزال تلك الأغصان من فوق رؤسنا ، كان القمر متألقا كما لو أنه يعلن عن نفسه في ليلته الأولي والنجوم متراصة بترتيب مثير يعكس سحر خالقها حينها أدركت أن بض الأشياء رؤيتها معتادة قبل أن يأتي شخص ما ويبدل تلك النظره الرتيبه فيصير مشهدا مذهلا مكتملا بعد أن كان ناقصا باهتا..

أخبرته وأنا أطلع ذلك المشهد: ماذا لو كان صحيحا ؟.

- أنني أختطفك ؟.

- نعم ، هل كنت لتعذبني مثلا ؟

اندهش لسؤإلي قائلا: من أين أتيت بهذه الفكرة..!

- لا أدري لكن أخبرني..

- بالطبع لا لكن ما الفائده هم يعتقدون أنني أختطفك حقا الأن.

قلت بشيء من الحسم والجدية: لكنني سأخبرهم بالحقيقة.

- الحقيقة..!. قالها بطريقه ساخرة ثم أضاف: هذا ليس كاف كما أنهم لا يبحثون عن الحقيقة، الحقيقة تهزمهم دائما.

صمتُ، فدائما ما تتوقف الكلمات عند هذه النقطة ولا أعرف بماذا أجيب ففضلت تغيير دفة الحديث نحو شيء آخر لطالما انتابني حياله فضولا كبير بملاحظتي اياه أكثر من مره..

- أيمكنك أن تخبرني قصة تلك السلسلة التي تضعها دائما حول رقبتك؟.

اعتدل جالسا وقام بخلعها عن رقبته فإذا بها تحتوي علي مفتاح بيت كلاسيكي وعتيق أعطاني إياه فأخذت أتلمسه بين أصابع يدي وأشبع فضولي واعجابي به ثم بدأ يخبرني: هذا مفتاح بيت أجدادي في يافا، لكل عائلة تم تمت تهجيرها بطريقة قسرية مفتاح كهذا تتوارثه عبر الأجيال حتي لا تنس موطنها الأصلي ومن أين أتت، انه مفتاح حق العوده إلي الديار.

- حق العوده إلي الديار. رددتها بإعجاب كبير

كان شيئا خليق بالأعجاب حقا من جانبه مثيرا للشفقة علي حالي في الوقت ذاته ففي النهايه لا أنفك أن أقارن بين حب عامر لوطنه وطريقة تمسكه به وبين تركي لـ هرينسكو بكامل إرادتي، رُحت حينها أوئد تلك المشاعر بداخلي أحاول جاهدة ألا انبش في هذا الجرح النازف والقائم في قلبي، نعم جعل الغيرة تملأ جنبات قلبي ملحقة الخزي علي وجهي ملصقة العار علي جبيني وذهبت بمخيلتي إلي ذلك إليوم الذي سأعود فيه إلي هرينسكو مجددا ذلك إليوم الذي سألامس فيه ترابها مجددا أتأسف لذرات طبقاتها أتوسل لمكوناتها علي طول امتدادها أن تقبلني ابنة لها مرة أخري، أردت ذلك قريبا، قريبا جدا مهما كلفني الأمر من تضحيات أقدمها وأثمانا أدفعها، قريبا جدا حتي لو أصبحت بلا عائلة، بلا أب يقودني إلي هناك أو أم تحنو عليا أثناء الطريق، هكذا قررت..

قادني ذلك إلي تذكر بعض مواقفي المشرقة تجاه هرينسكو من باب المباهاة والمغالاة في حبي لها، تلك الشيفونية التي تلذذة بها كثيرا وأنا أخبره علي سبيل المثال أنني في بعض الأحيان أقطع المسافات ذهابا إلي منزلنا الشتوي في براغ كل عام لكنني كنت أتحجج في أسخف الأشياء للعودة إلي هرينسكو من أجل إحضارها فأقوم بقضاء الليلة فيها وحدي أو عندما يبدأ موسم الدراسه أجاهد كثير من أجل استثنائي بقضاء أسبوعين بالجامعة ومنحي مثلهما في المنزل لكن يبقي السؤال البديهي والمنطقي والذي يطاردني ويعيدني إلي نقطة الصفر مجددا: كيف لي أن أتركها مع كل هذا الحب الذي أكنه لها؟.. ها قد عدت انبش جرحي مجددا، ها قد عادت الغيرة تستبد بجنبات قلبي ثانية لكنه كان يزيد من إصراري علي العودة وإيماني بهذا القرار.

********

تشربنا ذلك المنظر الساحر في السماء وأسكرتنا نسائم الليل العليلة التي لا تنفك أن تزورنا حتي غفونا غرقا في النوم متناسين أمر البارود والنار المحيطة بنا والمتربصة بأرواحنا طيلة الوقت..

أفاقتني آشعة الشمس في الصباح والتي كانت تتخذ شيئا فشيئا ميلا عموديا علي وجهي حينها صعقت وذهلت فاقدة النطق لما شاهدته أمامي، عددا من الجنود بلباس عسكري متجهمي الوجه حانقي الهيئة قد أحاطوا بنا موجهين أسلحتهم نحونا في مشهد احتضرت له نصف روحي خوفا وفزعا لهوله حتي أفاق عامر والذي ظننته سيتلقف مني المشهد كما استسلم له كل كياني لكنه تلقي الأمر الواقع بكل ما أوتي من برود بل أخذ يتفرسهم ويتبادل معهم نظرات سوداوية متحدية في صمت ازدادت معها حدة تأهبهم لأي طارئ قد يحدث..

أمرني قائدهم بالخروج من ذلك المخبأ فنظرت إلي عامر ورحت اتشبث علي الفور بيده حينها ازداد حنقا وغضبا وعاد يأمرني بعصبية متزايدة حتي هم عامر بالخروج أولا ومن ثم ساعدني في ذلك، ظلا يطالبوننا بالسير والتقدم حتي اهتدينا إلي منطقة مستويه علي القمه أيضا ، وعلي حين غرة تلقي عامر ضربة قاسية من الخلف وجهها له أحدهم بغرض اسقاطه أرضا لكن عامر سرعان ما تعافي منها وبكل عزم رد له ضربة مماثلة من الأمام طرحته أرضا بلا قائمه ليتكاثر من حوله الجنود يتلقي منهم الضربات بكل تحمل دن استسلام، أخذت حينها أصرخ: عامر.. عامر. لكن أحدهم كان

ممسكا بي وقد زرعني كالشجرة في مكاني لا أستطيع الإفلات والحركه، الدموع تنهمر علي وجنتي كما لو أن سحابة من الأحزان قد غطت سماء محياي حتي أُنهكت قوة عامر من كثرة ما تلقاه من ضربات فلم يعد يستطيع المقاومة..

أدار أحدهم كاميرا موجهة إياها صوب عامر واثنتين من رجالهم يمسكان به بإحكام ثم قام قائدهم بإلقاء بعض الكلمات بالعبرية علمت من خلالها أنهم يعلنان عن نجاحهم في إعادة الفتاه إليهوديه المختطفة من قبل هذا الإرهابي وأخذ يكرر اسمي "سارا أريسون" عدة مرات فقمت بالصراخ مرددة بأعلي صوت ممكن: لا انه صديقي.. لم يختطفني.. لقد ساعدني. وددت حينها لو أن صوتي يصل لكل منطقة، بلدة ومنزل حتي يعلم الجميع الحقيقة لكن دون جدوي فقد صموا آذانهم تماما حينها تذكرت كلمات عامر: انهم لا يريدون الحقيقة ، الحقيقة دائما تهزمهم.

ظل عامر يحدق بي مبتسما ابتسامة صافية كما لو انه يطالعني لأول مره، نظرات تعبر روحي تخاطب قلبي كما لو اننا في لحظات شروق أمام بحر في جزيرة لا يقطنها سوانا فقط، اااه ياله من مسكين، مسكين قوي وبطل في الوقت ذاته..

هم من كان ممسكا بي بإبعادي عن المشهد بالكامل وأنا أقاومه بكل ما أوتيت من قوة لكنه أخذ يجرني علي الأرض بشتي الطرق حينها انقبض قلبي وأقسم أنني شعرت به وهو ينشق نصفين داخل صدري عندما رأيتهم يوجهون نحوه الطلقات عن قرب مخترقة صدره تدفعه إلي الخلف من شدة ارتطامها بجسده، وقعت علي الأرض لا أصدق، لا أصدق ما تراه عيني، وضعت يدي

علي فمي الفاغر من هول صعقتي وما حل بي من ذهول وهو مازال ينظر لي يقاوم الطلقات حتي لا تنقطع تلك النظرات وعندما شاهدت الدماء تغطي جسده، انتفضت من موقعي راكضة نحوه أحتضنه بين يدي أوقف دمائه بتلك القطعة التي وضعها علي فمي حينما كادت الغازات السامى أن تقتلع روحي لكنني لم أستطع مساعدته كما ساعدني، ااه لو كنت أستطيع أن أضع روحي مكان روحه لفعلت، أن أعطيه من قدري من أيامي وعمري، أاه يا عامر كيف لي أن أعثر عليك مجددا؟ كيف لي أن أسترجع دهشتك بي عندما صادفتك خلف تلك الشجرة لأول مره، عندما دللتني علي طريق العودة "في الخفاء" إلي منزلي بأمان، عندما انقذتني من هول غارات حارقة وأخفيتني بين أهل قريتك، عندما أطعمتني وتلقيت لطمة من أبيك لأجلي، لكن قد فات الأوان ومات عامر بين يدي واحتضرت نصف روحي الأخري..

ذبلت الأزهار في عيني، انطفئ ضوء القمر في السماء أصبحت الشمس بلا فائدة والبحار بلا أمواج فقدت التمييز بين الألوان كما لو أن كل شيء أصبح بالأبيض والأسود فقط، الطعام كله بمذاق واحد، الليل والنهار ساعات تمر وتنقضي ولم تعد الموسيقي تحرك شيئا بداخلي، فقدت الحياة بداخلي حتي ساءت حالتي علي مدي أشهر طويله حتي عدت أسترجع احساسي بها كما لو أنني طفل صغير يدرك الأشياء لأول مره..

علمت بعد ذلك أنهم قاموا بإقتحام قرية عامر وهموا بإعتقال الكثير من أهلها بغرض تهجيرهم وابعادهم بطريقة قاسية عن تلك المنطقة لكنهم فشلوا في تحقيق مساعيهم الدنيئه هذه وأطلقوا سراحهم بعد عدة سنوات..

أحاطت بها كل من فيرونكا، سابينا ولينكا يربتن علي كتفها ويدها مواساة لها كي تتخطي استرجاع ذلك المشهد الحزين والذكري المؤلمة العابقة في ذاكرتها لكنها كانت أكثر قوة وصلابة مما اعتقد الجميع وعادت لتكمل: ساءت العلاقة بين والدتي ووالدي حيث ألقت عليه اللوم الشديد ومسؤلية ما حدث بالكامل مطالبة إياه بالعودة في أسرع وقت ممكن إلي الوطن لكنه كان مازال مهوسا بتلك الأفكار عن المستقبل ويؤمن ايمانا كامل بأن الحياة هنا أفضل بكثير من العودة ، أصرت والدتي علي الطلاق حينها لكن الحاخامية هنا كانت تتطلب مثول الزوجين بإرادتهم لإجراء مراسم الطلاق تحت شروط معقدة وهذا ما رفضه أبي بالطبع فاتخذت والدتي قرارا سريا بالعودة وبالفعل في احدي الأيام تسللنا خارج تلك البلاد التي لا ننتمي لترابها ولم يكن يشعرنا يوما بأية راحة او ترحيب حتي وطأت قدمي أرد هرينسكو من جديد لكن بمشاعر مختلفه، كان عقلي وكأنه عاش عقدا كاملا من الزمن في أشهر قليله وقلبي أصبح كسير متألم ونار مشتعلة يطبق عليها صدري وقودها ذاكرتي التي كنت أحتضر بسببها كل يوم.

انتهت سارا من سرد حكايتها ومازالت السيدات ينظرن إليها، يحملن في داخلهم الكثير من المشاعر المتناقضة يطالعونها بنظرات ممزوجة بين الإعجاب الشديد لقدرتها علي تحمل ما مرت به من صعاب وعقبات قدر لم يكن رحيما بها وبين قدرتها علي مواصلة الحياة مجددا حتي أتي هذا إليوم الذي قررت فيه البوح بما أغلقت عليه صدرها ونبش حرجا لم يستطع الزمان محوه طوال سنين عده..

الأن اكتملت حكاية الأربع سيدات وباتت كل واحدة منهن غارقة في تفاصيل الأخري، تلك المشاعر التي لم يكن يستطع المرأ العادي أن يتفهمها، فقط المعاناة بالمعاناة وحدها جديرة بذلك حيث أن لأصحاب المعاناة قلوب كسيرة متألمة وقد سحقتها اضطرابات الحياة القاسية وتحطمت في جنباتها المختلفة فباتت تمتلك من الذاكره ما هو مصاب بداء السيولة فما من أمر صغير مشابه إلا ويجتر معه باقي الذكريات فتنهال علي الجسد دون رحمة، هذا ما أسميه " الأحتضار بالذاكره ".

# الفصل الحادى عشر

خيم الليل علي منهاتن، انه لمنظر فاتن اذا واتتك الفرصة وطالعتها من أعإلي السماء، ستبدو أمامك وكأنها نجم صغير يتلألأ بأضوائها الليلية المبهره والمياه المحيطة بها من كل الإتجاهات تعكس سحرها الهادئ..

بعد أن خرجا معا من بابو ذهبا في نزهة سير هوينيه حيث قادتهم أقدامهم دون أن يقصدا مكان ما بعينه، حينها ازداد تأثير سِحر منهاتن في أعماق جولين فتسائلت: لو لم تكن منهاتن موطني فماذا سيكون ؟.

أجابها سام بسؤال أيضا: وهل اختبرت شعور السفر بعيدا من قبل؟

أجابته رافضة الفكرة: لا ولن أفكر في ذلك أبدا.

- لكنك في ذلك إليوم كنتِ قد تحدثتي عن أشياء مثل الوحدة والضيق.. ألا تتذكرين..؟.

صمتت لثوان وكأن كلماته أعادتها إلي تلك الليلة متذكرة كامل تفاصيلها فأخبرته: نعم، هذا صحيح.. لكن أتعلم يكمن في هذه المدينة شيء ما أنا لا أفهمه، تصيبني الوحشة والغرابة فيها نهارا وأشعر أنها ملك لي بأكملها ليلا وعندما أعود إلي البيت مجددا تثير في نفسي حنين كبير وشوق إلي شيء ما مبهم لا أعرفه.

- ربما يرجع ذلك إلي أنك لا تمتلكين هذا العدد الكاف من الأصدقاء او شيء كهذا.. انتِ تعلمين الصداقة أمر هام جدا في مراحلنا الأولي.

- نعم لكن.. حسنا سأخبرك شيئا أنا ضعيفة جدا في التواصل مع

الآخرين وأخاف مزاجيتهم المتقلبة، متي أنهيت حديث مع شخص ما أعود إليه في المرة المقبلة غريبة جدا عنه ومن ثم احتاج إلي البدأ معه من جديد حتي أعتاد علي وجوده ولا أدري أهذه مشكلة عندي أم أنني سئمت التعاطي مع الآخرين.

ثم أردفت: علي أية حال أنا لا أفكر بتركها يوما.

- ربما يتعين عليك تجربة التنقل إلي أماكن أخري، ربما منهاتن ليست علي قد كاف من استيعاب روحك.

- لا أعرف ماذا يخبئ لي القدر.. انا منفتحة جدا علي تلك الأفكار لكن في هذه الأثناء ليس لدي أية رغبة في تنفيذها.. حسنا أخبرني أنت هل ستعود إلي لويزيانا مجددا أو ربما بيرو يوما ما؟.

- بيرو..! قالها بإستغراب وكثير من الإعتراض. وأضاف: لا، حتي لوزيانا لدي معها زكريات ليست بالجيدة.

- اذا عليك بالتفكير في امتلاك مطعمك الخاص من الأن، ألا تثير تلك الفكرة شغفك بها ؟.

ضحك قائلا: نعم لكن.. أتعلمين ربما يتوجب عليا أن أعثر علي وظيفة جديدة أولا، إليس كذلك؟.

حينها ازداد يقين جولين بفكرة ما كانت تدور علي استحياء داخل رأسها حتي بات أمر تنفيذها الأن قرار مُلح وواجب..

لم يمر من الوقت الكثير حتي صاحت جولين في فرح: انظر.. أصبحنا قريبين من بنايتك.. إليس هذا مدهشا ؟!.

- نعم، حتي أنني لم ألاحظ ذلك.

لتخبره: في العادة يقود الشاب الفتاة إلي منزلها أولا لكن لا بأس هذه المرة ان أوصلتك إلي المنزل.

ضحك سام: حسنا اذا يمكنك المكوث عندي بعض الوقت عوضا عن ذلك.

- لا، لا يجب أن أزعجك أكثر من ذلك.. يبدو أنك متعب من البحث عن عمل جديد إليوم.

- حسنا كما تريدين. وافترقا..

كانت جولين قد عبرت بعض البنايات القليله قاصدة في الأخير منزلها أيضا لكن سيطرت عليها حالة انفعال غريب هي نفسها لم تفهم ماذا يفتعل بداخلها جعلتها تتخذ قرارا بالعودة إلي سام مجددا وبالفعل دون تفكير شرعت في ذلك، إرتقت البناية التي يقطنها وعندما دقت باب شقته تراءي لها أمام أعينها ولم يكن قد أزال ثيابه من العودة بعد قائلة بعينين تلمعان حزنا وكثير من المشاعر المتداخلة الغير مفهومه: يقولون يإليت المشاعر تُري ليري كل ذي حق حقه، نعم يا سام أنا أحبك.. أحبك كثيرا ولا أمتلك من الكلمات ما يعبر عن مدي حبي لك، لا أمتلك سوي أن أنهار أمامك من الشوق وأتوسد أحضانك من الحنين. ثم عانقته بقوة لم تعتدها عن نفسها من قبل وكأنها تتشبث بأخر آمالها قبل السقوط من قمة الهاويه وتندثر في ظلماتها والكثير من الدموع قد انهالت في صمت من أعينها..

قضت الليله علي فراشه فقط تحتضنه كطفلة صغيرة خائفة ومرتاعة وهو منصاع لها تماما حتي غفت متوسدة أضلاعه، حدث ذلك دون أن ينبسا ببنت شفة واحده مجددا، كانت الكلمات أبعد ما يكون عما تشعر به جولين في هذه الليلة، شيء من الكآبة والهم إلتف حول روحها لتجد في سام الشخص الوحيد في كل منهاتن القادر علي محو شجونها واضطرابها فهو من عايشها في أكثر أوقاتها ضعفا ووهنا دون أن تشعر رفقته بأي تكلف أو تصنع وكأنه مارس سحرا افريقيا علي روحها و مداركها..

في الصباح أفاقت باكرا تاركة إياه يغط في نوم عميق، بحثت في خزانته عن إحدي قمصانه لترتديه فالتقطت ما هو فضفاض ومريح وراحت تعتاد مطبخه حتي شيئا فشيئا صنعت فطور الصباح بما كان متاحا لها ثم جلست تُطالعه وهو مغمض العينين سابحا في نومته تتفرس ملامحه بإتقان قائلة في همس: أيها المغامر الكبير في بحر الحياة قد انتهي إبحارك الطويل عند شاطيء جزيرتي المهجورة منذ سنين ، فبدونك لم أكن أعرف للحياة معني. حتي أفاق..

قالت مداعبة له في رقة: صباح الخير أيها الكسول. وأضافت وهي تضع المائدة علي السرير: هناك من أفاق باكرا وأعد لك الفطور.

بادلها التحية الصباحية وإلتفت إلي قميصه الذي ترتديه: وهناك من كان يعبث بخزانتي أيضا.

- ألا تكرم ضيفتك في العاده.

ابتسم قائلا: لا.. لكن لم يعرف هذا المنزل ضيفا من قبل.

تناول بعضا من الفطور وجولين تنظر إليه في ترقب: حسنا أخبرني..

تناول مزيدا منه مما زاد من تأهب جولين: والأن..

سام علي أعتاب أن يضع أحد العلامات حتي أخبرها: ثلاث نجمات ونصف.

جولين في استياء: لكنك لم تتناول "كريم القمح" بعد.

وبعد أن تناول بعضا منه: حسنا، أربعة نجمات ونصف..!.

جولين بجديه : هل أعتدت أن يصنع أحد لك الفطور من قبل. أخبرها علي الفور: لا.

- اذا ما مشكلتك مع فطوري.. ألا يستحق الخمس نجمات.

- ربما أنا المخطئ، يبدو أنني فقدت حاسة تذوقي فور ترك العمل.

لتفاجئه: اذا كيف لك أن تعمل في بابو مجددا ؟.

سام في اندهاش: بابو..!

- نعم انهم يتطلعون لأحد العاملين الجدد، ألم تلاحظ ذلك بالأمس؟!.

انتفض من فوق السرير: حسنا يجب أن أذهب الأن. وهو يهم بإرتداء ما يناسب الذهاب إلي بابو وسط سعاده غامرة لجولين.

*********

في المساء عادت إلي المنزل لتجد أبيها قد قطع رحلته من ميشيغان وهو في حالة غضب وإستياء تام يتفحص الكثير من الأشياء وقد قام بصنع كومة كبيرة من الأوراق الممزقة وسط غرفة مكتبه، انتبهت جولين إلي حالته الثائره التي لا تهدأ متسائلة: أبي ما الأمر؟.. ماذا يحدث هنا؟

بعصبية كبيرة يخبرها: هذا المعتوه ليون يبدو أنه فقد عقله تماما وهددنا بإخبار شرطة الولاية عن بعض الأشياء الغيرقانونية داخل جمعيتنا.

وأضاف: لقد كان أحد أبنائنا المخلصين ونأتمنه علي أسرارنا لكنني كنت مخطئ بشأنه تماما.

أدركت جولين أنه قام بتلك التهديدات انتقاما لما ارتكبته في حقه من اهانات في ذلك إليوم بالمطعم مما أدي إلي تبديد كل مخططاته التي كان يحيكها في الخفاء، جعلها ذلك تشعر بالأسف الشديد حيال والدها ولم تزد من معاناته أكثر بذكر أمر أنه قد أختاره لها زوجا فبرغم من معاملة جولين السيئة له إلا أنه أساء التصرف مع والدها الذي قدم له الكثير من الدعم منذ صغيره وهذا يدل أنه لم يكن يحبها من الأساس بل كانت له أطماع خفيه ورغبات شيطانيه..

تلك التهديدات العلنية قد أنهت علي أسطورة ليون الأخلاقية تحت ستار من المثإلية المزيفة ففي الحقيقة مهما بغلت حدة ذكائنا ومعرفتنا العميقة بأسرار النفس البشرية إلا أنه لاتزال مداركنا بتوقع سلوكها ضعيفة جدا ورؤيتنا للأشخاص التي تدعي المثإلية وتتخذ الأخلاق ستارا لمساعيها مصابة بقصر النظر.

ذهبت إلي غرفتها وكالمعتاد أحكمت غلقها وأخرجت مدونتها من أعماق خزانتها وهمت بالكتابه:

" إليوم ناقضت نفسي كثيرا، فمنذ أيام نشبت بيني وبين أبي مشاجرة عندما قام بتدبير عملا لي بقوة ما يحتله من مكانة في المدينة ورحت أصرخ في وجهه رافضة تلك الطريقه رفضا تاما بحجة أنني يجب أن أستحق العمل وليس لأن أبي هو ميتشل أريسون الذي يصعب علي أحد قول كلمة "لا" في وجهه، ليس لسطوته أو نفوذه الكامل بل جرت العادة هكذا في كل المجتمعات ، مركز القوه تُفتح له الكثير من الطرق ويُسمح له بالعديد من الأشياء ويبدو أنني قد وقعت فريسة لهذا المبدأ دون وعي مني أو انتباه والغريب في الأمر أنني كنت سعيدة جدا بذلك ولا أشعر بأي أسف، فقد استغللت معرفة أبي القوية بالعم لينون رئيس الطهاة في مطعم بابو وقمت بدعوة سام علي الغداء وقد أعجب به كثيرا وبدوره وافق علي اسناد عملا له داخل المطعم.

اليوم أيضا أدركت أن ليون لم يكن يحبني قط، في الحقيقة هذا أمر لم يكن يعنيني يوما لكن هناك شيء ما يزعجني الأن، أن توقن بأن هناك بعض الأشخاص يحبونك ثم تدرك فيما بعد أن محبتهم هذه زائفة وليست صادقة ونابعة من القلب هذا يفقدني الثقة في بعض الأشخاص من حولي وبمرور الوقت مع كثرة تكرار تلك الموقف يصبح البشر بالنسبة لي طبقات من أسرار وخبايا تنهكني في التعامل معهم والتسليم بصحة طويتهم وحسن نيتهم وليون المثإلي بات الأن واحدا منهم أصبح شريرا مُظهرا وجها آخر عما أعتدنا عنه ، وماذا بعد.. "

دق والدها باب الغرفة علي حين غفلة فأسرعت بإخفاء مدونتها مجددا داخل الخزانة وتصنعت ثقل هامتها وارهاق كبير يستبد بجسدها يعكس رغبة ملحة في النوم لكنه أصر علي عقد حديث هام ومصيري معها علي حد قوله فما لها إلا أن انصاعت لرغبته في ذلك..

بجدية يطالع عينيها قائلا: جولين أنتِ لا تعلمي كم وضعنا عصيب الأن، لقد فكرت كثيرا ومليا في العديد من الحلول لكنها باءت كلها بالفشل وليس أمامنا سوي شيء واحد وهو المغادرة بأسرع وقت ممكن.

جولين وكأنها تلقت واحدا من أكثر الأخبار حزنا في حياتها: ماذا..! سنغادرونترك منهاتن..! كيف هذا ؟

- نعم نحن مضطرين لذلك، سنذهب إلي براغ لدينا منزل هناك كما تعلمين، سيكون هذا لعدة سنوات فقط حينها سنقوم بتسوية جميع مشكلاتنا ومن ثم يمكننا العودة مجددا في أجواء أفضل.

- لكنني غير مستعدة لذلك الأن.

- ليس أمامنا خيار آخر وإلا ستقوم الشرطة بمضايقتنا ومصادرة كل ممتلكاتنا اذا قام هذا المعتوه ليون بتنفيذ تهديداته. في عصبية متزايدة

صاحت جولين أيضا: لا يهمني كل هذا يا أبي، يمكنكم أن تجعلا ليون واحد منكم أو اغرائه ببعض المال لكنني لن أترك منهاتن. وأضافت: من حقي أن أنظر لحياتي نظرتي الخاصه ولن أجعل شخص أحمق مثله أن يتحكم بها من أجل أطماعه الشخصية.

خرج حينها ميتشل أريسون من الغرفة ثائرا مرددا: أتعلمين شيئا أنا لم

أعد أتحمل الجدال معك.. أنتِ مثل ليون تماما لا تختلفان كلاكما أحمقان وستتسببان في مقتلي يوما..

********

في اليوم التإلي وقد تملك إليأس والحزن من قلب جولين وتركت نفسها للكآبة تستبد بقمسات وجهها طيلة أطوار إليوم، ظلت صامتة ساكنة ومستسلمة لما يدور في رأسها من أفكار وخيالات مريبة وقاسية: كيف لها أن تتحمل رؤية والدها وهو يُعذب من أمر ليون وتهديداته من جهة وكيف لها أيضا أن تترك منهاتن وتهاجر إلي مكان آخر هربا وخوفا من سوء قد يحل بها من جهة أخري، هي الأن منسحقة بين جهتين واختيار واحدة منهم ما هو إلا ألم مشابه للآخر لكنها بالطبع لن تترك سام والأرض التي تطأ قدمهم عليها مهما كلفها الأمر متذكرة سعادتها الغامرة والتي أخفتها بداخلها حينما سألته عما اذا كان يرغب بترك منهاتن والذهاب إلي لويزيانا مجددا او ربما بيرو؟، لكنه أخبرها بتلك الأجابة التي أراد قلبها أن يسمعها قبل أذنيها ويعيها قبل عقلها..

أنهت العمل داخل مركز البإليه، وأثناء طريقها إلي العودة كانت تسير وسط العامة مهمومة شاردة الذهن، فوجئت بـ ليون وكأنه هبط من السماء أمام عينيها مباشرة وعندما أفاقت من دهشتها برؤيته طلب منها الجلوس والتحدث قليلا وقد تحولت ملامح ذلك الشاب الهادئة وابتسامته الودودة إلي ملامح متجهمه بإبتسامة شيطانية تنبئ عن أطماع دفينة وتعكس خبايا دنيئة يغلق عليها صدره ففضلت سماعه تقليلا من حدة سخطه نقمه وتجنبا

لأفعاله التي باتت تفتقر للمروءة في الآونة الأخيره..

في أقرب كافيه يقدم بعض الخدمات السريعة جلسا وقد تحدث ليون بوجهه الحقيقي بكلمات يملؤها الحقد العابق داخل قلبه منذ سنوات، أظهرت أن ما يقوم به كان مدفوعا بنية قانعة وضمير مرتاح وكأن له الحق في ذلك قائلا: أنتي تعلمين أنني أخدم أباك منذ صغري إليس كذلك؟

فأجابته علي الفور: نعم، لقد كان يعاملك مثل ابنه.

حينها ضغط ليون علي أسنانه في عصبية وقال متصنعا الهدوء: كفي.. لقد سئمت سماع تلك الحماقات، نحن البشر لا نمتلك بعضنا البعض.

لتمر عدة ثوان يتخذ كل منهما انفاسه علي الرغم من قصر ما قيل حتي الأن إلا أن صعوبة الموقف مهولة، والبوح بالكثير من المشاعر الدفينة منذ سنوات ليس هين بالطبع..

عاد ليون ليخبرها: رأيتك تخرجين من بيت ذلك الشاب الذي كان يعمل في المطعم تلك الليلة.

احمر وجه جولين وتلعثمت كلماتها علي شفتيها: أنت تراقبني؟ كيف تجرؤ..

- لست وحدي، لقد شاهدك الكثيرون رفقة ذلك الحقير داخل بابو أيضا.

وكأنه يحاصرها ويضيق عليها الخناق بكلماته هذه فصمتت ولم تجد ما ما تقول..

عاد متسائلا: ماذا بينك وبينه ؟

استشاطت جولين غضبا موجهة تلك الكلمات ببطئ صوب عينيه مباشرة في تحد: هذا.. الأمر.. لا يعنيك.

تقدم من جلسته إلي حافة كرسيه وقال في تحد أيضا: أنتِ ملك لي يا جولين وهذا شيء أعدك به. ثم أضاف مُهددا ببرود وهو يستند بظهره علي الكرسي مجددا: من الأفضل لك ولأباكِ أن تبتعدي عن ذلك الحقير.

حينها استفز جولين بتكرار كلمة "حقير" للمرة الثانية فأخبرته: سام ليس بحقير.. لقد ساعدك أبي منذ صغرك حتي أصبحت ما أنت عليه الأن ، هكذا ترد الدين؟!.. الأن عرفت من هو الحقير.

- حسنا يا جولين.. ستندمين علي تلك الكلمات وتذكري جيدا أنني لن أسمح لأحد بالإقتراب منك بعد الأن. ثم قال محدثا نفسه في توعد: وهذا الحقيرلدي دين قديم معه.

وقام بترك المطعم ثائرا كالمجنون..

ظلت جولين جالسة لم تحرك ساكنا، شاردة الذهن محدقة في الكرسي الذي كان يجلس عليه ليون قبل قليل، تدعي القوة والصلابة لكنها الأن أصبحت منقبضة النفس منهارة وكسيرة القلب من الداخل عن ذي قبل عندما علم ليون بأمر سام فأدخله في متاهتها وألقي به بين دفتي رُحي معاناتها التي تدور في الأونة الأخيرة بلا توقف لتسحق مشاعرها وتستنفذ ما تبقي بداخلها من طاقات فأصبحت كمن ينتظر تلقي ضربة قاضية تدخلها في غيبوبة الواقع وتحملها علي الإستسلام التام..

انتابها قلق كبير حيال سام فقامت بإرسال رسالة نصيبة له مفادها (هل أنت بخير..) ثم انصرفت بعينيها نحو الخارج عبر جنبات الكافيه المنفتحة زواياه تطالع وتتابع سير العامة في الشارع، سرق انتباهها شخص ما

وقد اختار ركنا بغرض صف سيارته، كانت السيارة مونقة ذات حجم صغير بحيث تثير إعجاب كل من يراها حتي في نفوس أكثر الناس كرها لتلك القطع الميكانيكية المتحركة، مقدمتها الهادئة مرتبة الصنع تبعث التفائل في نفوس من يطالعها حتي بدت وكأنها تعلم بأمر أناقتها وأنها مدعاة فخر ومباهاة في يد من يمتلكها، لم يكتمل مرور دقيقة حتي احتل المشهد سيارى أخري ضخمة من تلك التي تبعث الرهبة في نفوس من يصادفه المرور بجانبها ذات واجهة قاسيه وقد صممت تفاصيلها لتناسب هيئتها المتجهمه وقفت أمام تلك السيارة المونقة بإضاءة قويه تنبعث من مصباحين وكأنهم عينين غاضبتين تصب جم غضبهما في وجه تلك السيارة الصغيرة في تحد فبدت خائفة مرتاعة من ذلك الموقف المحتدم حتي شعرت جولين بشفقة كبيرة حيالها ثم عاد ذلك الرجل مجددا لينقذ سيارته من ذلك التحدي الهزلي وتلك المواجهة الغير متكافئة فكان أول ما فعله أن أضاء مصباحيه الأماميين بنغمه متقطعة وهو يرجعها إلي الخلف تمهيدا لمواصلة السير مجددا فبدا وجهها وكأنه يخبر تلك الضخمة المتجهمة: اذهبي إلي مصانع التدوير أيتها البطيئة ذات المحركات الصدئة. ليعلو صوت هاتف جولين ويقتلعها من تلك الخيالات السريإلية ويزجها في الواقع مجددا، أدركت أن سام المتصل فأجابته علي الفور..

- مرحبا سام. ليجيبها مرددا التحية وبات هذا هو الحوار الدائر بينهم لكن من جهة جولين:

- لا، لا شيء لكنني أردت الإطمئنان عليك.

- نعم بالتأكيد فأنا في أمس الحاجة كي أسمع أخبارا سعيدة. وهي تبتسم فقد أدركت أن مسعاها قد تحقق..

- لقد أسعدني سماع ذلك كثيرا، أنا واثقة أنهم سيعتنون بك في بابو جيدا.

- نعم بالطبع يجب أن نحتفل بذلك.

ثم تذكرت أمر تهديدات ليون قبل قليل فعادت لتخبره: لكنني إليوم منشغلة جدا، لنؤجل ذلك في وقت لاحق.

- حسنا، اعتني بنفسك جيدا يارجل بابو. علي نحو المداعبة..

- إلي اللقاء.

********

بعد عصر ذات إليوم أرادت جولين زيارة زوي فهي لم تشعر بالقرب الكافي منها أخر يومين أو بالأحري للأحداث المتلاحقة التي عصفت براحتها وسلامها النفسي أثر في ذلك فقد سئمت تكرار الآلام والأخبار الغير سارة المتكررة، وزوي تلك الفتاة المتقلبة المزاج غريبة الأطوار علي نحو رائع وممتع ربما تعيد إليها شيئا من روحها بأحاديثها وحكاياها التي لا تنقطع..

وقفت أمام طابق زوي تنظر تترقب ساكنة ربما رغبة في تكرار تلك المصادفه مجددا وتخرج زوي من تلقاء نفسها مثلما حدث في المرة السابقة، لكن لا شيء حدث والقدر لم يعيد نفسه ثانية، دقت جرس الباب فخرجت زوي علي الفور، يالها من استجابة سريعة أثارت دهشة جولي لتخبر نفسها: ياليت كل ما اتمناه يحدث بتلك السرعة أيضا. نظرت إلي وجه زوي المبتسم والمرحب دائما وكأنها قامت بتسجيل الدخول إلي عالم آخر مسالم للتو..

- مرحبا زوي ، هل الوقت مناسب كي..

لم تجعلها تردف المزيد من الكلمات وحملتها علي الدخول قائلة: نعم بالطبع، هم متشوقون لرؤيتك أيضا.

دخلت جولين بيت زوي لأول مرة، في البداية صادفت كوريدور قصير وُضع علي حائطة مرآه مستطيلة الشكل أسفلها حافظة أحذيه وبجانبهما حاملة معاطف كلاسيكية، خلعت جولي حذاءها ووضعته في الحافظة ثم قادتها زوي للتعرف علي عائلتها الصغيرة، البيت متسع بحيث صالون الإستقبال منفتح علي الصالة الرئيسية وغرفة المطبخ أيضا يمكن رؤية تفاصيلها، كان ذلك بطريقة مريحة بعثت في نفس جولين دفء العائله الذي تفتقده، لم تمر ثوان حتي حضر والدا زوي..

رحب الوالد قائلا: مرحبا جولين، أهلا بك في منزلنا.

والوالدة: لقد اسمعتنا زوي الكثير من الأحاديث الجيدة عنك.

حينها لم تستطع جولين إخفاء دهشتها الأولي حيث كان والدا زوي من ذوات البشره السمراء فتداركت زوي الأمر قائلة: هؤلاء والداي بالتبني. لتجعل الأمر منطقيا كما انها اعتادت علي تلك المواقف.

ثم أضافت: سأصحبك للتعرف علي غرفتي. فانصاعت لها جولين بعد أن ردت التحية والترحيب لوالدا زوي.

دخلت جولين الغرفة والتي كانت عبارة عن سرير كبير تهمل زوي في ترتيبه وخزانة ضخمة من الملابس، بعض النبتات صغيرة الحجم في حالة جيدة صنعت عالم خاص بهم في إحدي الزوايا وعلي الحائط عُلقت صور

عديدة، واحدة لأبطال مسلسل فريندز مجتمعين عند النافورة وثانية لـ ليوناردو دي كابريو وهو ممسكا بجائزة أوسكار وأخري لـ كارلي لويد كابتن منتخب سيدات أمريكا لكرة القدم..

جولين في اعجاب: غرفتك جميلة جدا، لابد أنها تغريك لملازمتها أوقات كثيرة.

- نعم أحب التواجد فيها لكن الشرفه دأبي طيلة الوقت.

وقادتها لتجربة الجلوس فيها..

كانت مربعة الشكل وقد نالت جزءا داخليا من مساحة البيت علي غرار ما يبدو عليها اذا طالعتها من الأسفل، بها كرسيان ومنضدة صغيرة والكثير من الورود والأزهار الحية تغطي سور الشرفة مما دفع جولين لسؤالها: ما قصتك مع تلك النباتات زوي ؟

- لا أدري لكن أنا بطبعي أحب العطاء لذا أخصص لهم من وقتي الكثير لدرجة أجدني في بعض الأحيان أتحدث معهم لكثرة ما اعتدت عليهم. وأضافت وهي تنظر إليهم بفخر: تعلمين أن هناك بعض الأوقات الصعبة تذهبين فيها إلي الفراش بكآبة غير مبررة وروح مُطبقة لكنني عندما أمنح لهم الحياة بطريقة ما يوميا هذا يشعرني بحالة أفضل.

- تمنحين لهم الحياة. كررتها جولين بإعجاب كبير.

لتخبرها زوي مجددا: أخبروني أن والدتي كانت كذلك أيضا فهي من أسست هذا العالم النباتات الذي يشغل سطح البناية الأن وكانت تهدي صديقاتها شتلات صغيرة من أنوع نادرة فقط لمن تجد فيه القدرة علي رعايتها جيدا حتي ورثت تلك العادة عنها وبعض الجيران أيضا يبادرون بالمساعده.

شردت جولين تسترسل هي الأخري في أمر والدتها التي ربما لو كانت علي قيد الحياة الأن لكانت الأمور تسير علي نحو أفضل مما عليه الأن لكنها لا تعرف عنها إلا القليل وهذا شيء تأقلمت عليه منذ الصغر حينها قاطعت زوي شرودها هذا متسائلة في فضول: ألن تخبريني عن أمر ذلك الشاب ؟.

جولين بعد أن انقطع شرودها: ممم..

زوي مكررة سؤالها: ذلك الشاب يا جولين، لقد تهربت من الإجابة في المرة الماضية بحجة أن الأمور بينكم معقده.

جولين في تأمل وغبطة: سام..!. وكأن أمر تذكره ينتشلها من تلك الأفكار القاسية الكئيبة التي عبقت بجنبات بعقلها واستبدت بتفكيرها طيلة الأيام الماضية فهو أصبح مثل زوي وعالمها الأخضر يمنح لها الحياة دائما.

همت جولين بسرد حكايتها مع سام من كيت وكيت منذ حادثة عصير الليمون والبرتقال رفقة ليون حتي أمر بابو وفطور الصباح وزوي كالأطفال منتبهة في انبهار واندهاش تخبرها كل حين: أكملي أكملي. وكأن جولين تلقي عليها حكاية أحد الأفلام السينمائية المشوقة حتي انتهت..

قالت زوي : انه شيء معقد ومثير حقا. وأضافت: هذا يفسر لي كم كنت منطوية وساكنة مؤخرا.

جولين في حيرة: نعم، لكن همي منصرف الأن إلي ابعاد سام عن شرور ليون المحتمله وابقائه في مأمن عنه.

- حسنا ربما من الأفضل ابقاء الأمور علي نحو هادئ بينكم في تلك الفتره.

- هذا ما سأعمد تحقيقه خاصة وان أمور سام باتت مستقرة الأن.

وأضافت متسائلة: وأنت أيضا أخبريني كيف تسيرالأمور مع ماثيو ؟

- فاجأني بأنه يريد أن يعرفني علي العائلة بالأمس بعد دوامي بالمركز وأنا ما كنت مهيئة لذلك.

- لكنها خطوة كبيرة، إليس كذلك ؟.

- نعم لكن أشعر بأن الامور تسير علي نحو سريع بيننا، تعلمين.. هذا يصيبني بالتوتر نوعا ما.

جولين في اندهاش: نحو سريع..! لابد أنك تشتاقين لشراء تلك القطع الداخلية مجددا.

حينها انفجرت زوي ضاحكة: لا كفي.. خزانتي لم تعد تحتمل المزيد.

- نعم وهذا يفسر لي لما هي كبيرة جدا.

ظلا يتبادلان الأحاديث حتي ساعة متأخرة من الليل نسيت فيها جولين أمر واقعها المرير مُتذكرة كلمات سام: الصداقة أمر هام جدا. حتي وهو غائب عنها كان حاضرا في عقلها وروحها دائما.

همت بالمغادرة لكن زوي لم تكتفي بكونها ملاذا وقت الضيق، عالم مسالم والرفيقة التي تهون الطريق بل برهنت علي انها تتصف بسمو عقلي وعلو روحي لا مجال للشك فيهما فقد أهدت جولين مزيج من شتلات ناشئة لأزهار الليلك البيضاء والأرجواني والبنفسجي الرقيقة ذات عطر رومانسي وعبير آسر لإضفاء المزيد من الراحة النفسية وبعث طاقة ايجابية في محيط غرفة جولين.

بذلك قد نجحت بعفويتها وروحها في اعادة شيء من البهجة والسعادة المُفتقدة إلي قلب جولين الذي استبد به الحزن وعبقت به الكآبه في الآونة الأخيره مُعيدة إلي وجهها الإبتسام مجددا، الأمر الذي جعلها تستقبل غرفتها بروح مطمئنة ساكنة حيث وضعت أزهار الليلك في إحدي الجنبات التي لاقت بها بعد أن تشبعت من رائحتها العطرية حتي بات عبيرها يسري بداخلها، يعيد نفض أوردتها لتزدهر بهم الحياة من جديد..

انكبت علي مدونتها وكالمعتاد همت بكتابة يوم جديد قد عبر بروحها:

" اااه كم اسود العالم من حولنا وتبدلت معه المفاهيم أيضا فبات تداخلها يُتخذ مقصدا لرداءة الفهم وشجونها لسوء النوايا، من يحبنا حقا ويحبونا صداقته بإلحاح نطلق عليه: غريب الأطوار ساذج. ومن يضنينا ويرهقنا يأسر أرواحنا ويجذب إليه تقربنا، كأننا اعتدنا العذاب وأدمنا الصدمات وانتشينا الآلام بينما هناك من ينقذون هذا العالم من جحيمه الدائم ويعيدون إليه التوازن بإستمرار فأمثال زوي وما يشبههم من أرواح تظل تغفر الأخطاء وتبتلع الحماقات وتحتوي وقت الضيق دون مقابل لهم الفضل الكبير في حمايته من الهلاك وايقاف جريانه البائس إلي الأمام.

زوي التي تنثر في أيامي دائما وهجا من مسرات وتقيم أعيادا وأفراح، شاكرة جدا لك أيتها الرفيقه... "

أغلقت المدونة وأعادتها إلي الخزانة مجددا ثم غطت في نوم عميق كالأطفال..

في الطريق إلي مركز البإليه صباحا، الشمس آشعتها شديدة وحارقة، السماء ملساء دون سحب متقطعة تلطف من قسوة الجو، انتابتها حالة دوار وسط زحام العامة، تسير بينهم دون اتزان كامل، عينيها تهزيان والرؤيه مشوشه بعض الشيء، يزداد الأمر سوءا بمرور الوقت ومع اقتراب أول شخص منها بدا وكأنه وحش كاسر يخيفها بعينين حمراوين مخيفتين حتي ابتعد وعاد شخص طبيعي مجددا، تطالع شخص آخر وعند اقترابه منها تحول هذه المرة إلي أسد مفترس يخيفها بصوته المرعب وأنياب فكيه المدمرتين، الجميع من حولها يتحول إلي كائنات مخيفة وهي بينهم تسير بخطوات مرتجفة متأهبه وجسدا مرتاع، حذاؤها يتخذ شكل أغصان شائكه تنمو وتلتف حول ساقيها فتهم بخلعها علي الفور، حقيبتها تتحول إلي ثعبان يحوم ويلتف حول كتفها ورقبتها فتتخلص منها أيضا، المدينة كلها تتحول إلي غابة من حيوانات بريه متوحشه لتبدأ بالركض نحو بيت سام والجميع خلفها يريدون اللحاق بها، تركض وتركض فتميل الشمس إلي الغروب، السماء تنطفئ وتضرب منهاتن بأعاصير وأمطار، مياه النهر الشرقي تغرق المدينة وهدسون الغربي يهم بإبتلاعها وهي في المنتصف تطوقها المياه غارقة تلتقط انفاسها بصعوبة لتختنق وتختنق وتختنق حتي علا صوت الهاتف فأفاقها من كابوس كاد ان يقتلع روحها، الساعة الرقمية بجانبها تشير إلي الثانية والنصف ليلا، تفحصت الهاتف لتجد سام المتصل، أجابت علي الفور لتتفاجئ بصوت شخص آخر يخبرها: نحن شرطة نيويورك، هذا الشخص لم نستطع التعرف عليه، إرتكب حادث واندفع بالسيارة نحو مياه

النهر بالقرب من المنتزه الشرقي...

لم تكمل باقي المكالمة وهرعت في فزع شديد علي هيئتها تقود سيارة والدها بسرعة جنونية نحو المنتزه، تذوب المسافات تحت الإطارات، الكثير من المخاوف تحيط بمخيلتها وقلبها يرتجف داخل صدرها تدعو الرب بأن لا يصيبه أي مكروه حتي أوقفت السيارة وما ان اقتربت وجدت أفراد الشرطه تطوق المكان وسيارة أخري بحالة ليست جيده قد انتشلتها الشرطه من المياه وأجزاء كبيره منها قد دُمرت وبجانبها شخصين قد وضعا في غلاف بلاستيكي وعزلتهما الشرطة بشريط أصفر يحيط بهما معا بجانب السيارة..

لم تصدق جولي ما رأت، اقتحمت المكان لتجد سام وبجانبه ليون قد فارقا الحياة..

سقطت أرضا بجانبهما في انهيار تام وبكاء شديد تخبرهما وهي في هول صدمتها: ماذا فعلتما..! ذهبتما لتتركاني أعاني؟!.. سام أفيق يا سام لا يجب أن تموت الأن يا سام. وهي تهز جسده المُسجي علي الأرض لعله يفيق

حينها أفرجت السماء عن قطرات مطر أخذت تزداد غزارتها وهي تبكي بجانبهما ثم نظرت إلي السماء وأخذت تصيح: لا أريد مطرا الأن، لا أريد مطر.. أريد سام مجددا.. أفيق يا سام. وأفراد الشرطه يساعدونها علي النهوض لتهدئ من روعها وفرط صدمتها بالمشهد..

جاء تقرير الشرطه يحاكي ما حدث وما تم رصده من كاميرات وبعض الشهود حيث سادة حالة من الصراع بينهم في شوارع منهاتن اثناء منتصف الليل أحدهم يطارد الأخر بسيارته حتي اهتدوا إلي المنتزه لتسود بينهم حالة

عراك شديده داخل السيارة التي اندفعت بهم دون وعي نحو مياه النهر حتي تدخلت الشرطه وانتشلتهما بعد ساعتين من الحادث.

********

مازالت مخططات ميتشل أريسون بالسفر ومغادرة البلاد قائمة لكنه لم يلح علي ابنته بعد هذا الحادث الإليم لكن ظلت إدعاءات ليون عند الشرطة تطارده وتؤرقه حتي بعد موته بينما كانت الأيام الأولي لفراق سام بمثابة تلك الضربه القاضيه التي أدخلت جولي بالفعل في غيبوبة الواقع حيث فقدت صلتها به تمام، يمر عليها يوما بعد آخر قابعة في غرفتها يساعدها النوم بفضل تلك الأقراص علي محو بعض من آلامها ومعاناتها بعد فراق سام.

ثمة شيء يوقفها عند تناول الطعام، وشيء آخر يوقفها عندما تهم لمواصلة العمل وآخر عند الأستماع إلي الموسيقي وتحريك قدميها في صالة البإليه حتي فقدت الفراشة تألقها في موسمها الربيعي المميز، أنهكتها تلك المدينة بقدر حبها لها ، ضاقت بها حتي باتت تطاردها الذكريات وتعصف براحتها المواقف فعزمت أمرها أخيرا علي تنفيذ رغبة أبيها بالمغادرة وترك البلاد.

*******

# الفصل الثانى عشر

## براغ - جمهورية التشيك

مر قرابة شهر ومازالت حبيسة منزلها الجديد، سحر براغ لم يكن كافيا ليقلل من وطأة أحزانها والتعايش المرير مع مأساتها فالحياة حصرتها بين خيارين إما أن تقبع داخل غرفتها المظلمة لتقي نفسها من شرور الخارج أو أنها تتجاسر وتخرج للعالم بأقدام واثقة وقلب جريء لكنها تفضل بالتأكيد الخيار الأكثر أمانا الأن في أحلك أيامها كمدا ووحدة.

المنزل ذا نوافذ عدة في بناية تراثية ذات أفازير فنية ومصاريع كلاسيكية تُضفي علي أصحابها صِبغة اجتماعية راقية وتعكس طبيعة المدينة ذات الأبراج العالِيه، مختلف كليا عن ما عاهدته من منازل وبنايات في منهاتن لكنه مُحكم جدا ودافئ في الوقت ذاته بالرغم من أطنان الثلوج التي لا يتوقف سقوطها بالخارج.

لا شيء سوي حاسوبها المحمول الذي يبقيها علي اتصال دائم بزوي فلم تمنعهم المسافات وفروق التوقيت من مشاركة تفاصيل حياتهم إليومية أو بالأحري تفاصيل زوي وما أكثرها ومراقبة بذور الليلك التي أصطحبتها معها وهي تنمو وتزدهر أمام أعينها مجددا، الشيء الذي يحملها علي الإستيقاظ بنظام والإلتزام نحوه لإمداده بالحياة وما ان تملكها السأم تراقب سير الحياة الرتيب الهادئ من النافذة في شرود تام ينتهي في العادة بألم ونحيب داخلي حتي أصبحت شاحبة اللون واستبدت تحت عينيها هالة سوداء لاتفارقها

وزال عن شفتيها لونهما.

لم تنشب بينها وبين والدها أية مشاجرة أو خلاف يذكر منذ انتقالها إلي هنا حتي ان الصمت بينهم يصل في بعض الأحيان حد الأزعاج فيقوما بالتشاور بشأن بعض أمور المنزل ليسود الهدوء بينهم مجددا.

كان آخر ما سجلته في مدونتها:

" ثمة فكرة تملأ رأسي مؤخرا وهي التوقف عن القراءة بلا رجعة وعدم ممارسة هواية الكتابة مجددا حيث الرغبة الملحة في إفراغ عقلي من أية معرفة جديدة وبعد حين ستتخطي عدد سنوات عمري عقلي حينها أصبح بلهاء، ثمة شيء يغريني في البله حيث من تناقضات الحياة أن تكمن السعادة في البله وتزداد الكأبة مع كثرة المعرفة ليعود صوت عقلي إلي طفولته مجددا، أن تخترقني الأشياء وتعبرني دون أن تترك أثرا فكثرة الشعور مؤلم والتفكير العميق يمرض "

" مؤخرا اكتشفت خدعة أبي الذي دبرها لي طيلة الفترة الماضية، كان يضع لي بعض الأقراص المهدئة في العصائر، يذوبها في المياة ويتركها أمامي في حين رغبت بها، أثار ذلك من استيائي كثيرا عند اكتشافي لهذا الأمر لكنني لن أكذب فقد ساعدتني تلك الأقراص في الوقت ذاته مفسرة الأمر لنفسي: حسنا، ربما سأتفهم تلك الأفعال إذا أصبحت يوما أما ومسؤلة عن سلامة أبنائي وقد أضطر للقيام بها أيضا.

ظللت أقدح في نفسي وأجلدها مئات المرات في إليوم، فأنا من تسببت في تلك المأساة وأنا من بدئتها حتي تعودت في الأيام القليلة الماضية وحملت

حإلي علي أن أقف عند نقطة معينة فلا أغوص في التفكيروأتعمق في التحليل وأدخل نفسي في دوامة: لماذا، كيف ولما. تلك الأفكار التي تستولي علي عقلي وتجترني أحيانا للقيام بشيء جنوني، شيء جنوني مثل أن أعاقب نفسي فأهم بالأنتحار أو أخذ جرعة زائدة تنقلني إلي العالم الآخر..

هذا ما حاول أبي جاهدا أن يعلمني إياه حتي أتخطي محنتي وأتعافي من انتكاستي النفسية هذه لكن هيهات أن يساعدني ذلك في النسيان أو العودة لأدراج حياتي الطبيعية مجددا فالفرق بين أن أحمل نفسي علي اعتناق فكرة وبين أن تسري تلك الفكره داخلي بإيمان عميق واقتناع تام كبير جدا، فمتي فسرت لنفسي ما حدث بأنه أمر كان مُقدر وليس لي يد فيه أشعر بكثير من الخيبة والأنانية فالأمر جلل وسيظل يلازمني ويلتصق بي طيلة ما تبقي من عمري.. "

لاحظ والدها أن الأمر يزداد سوءا يوم بعد يوم فقرر التدخل بنفسه لعله يثنيها عن تلك الأيام الكئيبة التي ألقت بنفسها فيها منزوية في غرفتها وقضاء عدد ساعات من النوم أكثر من المعتاد لأي شخص طبيعي..

بدأ والدها الحديث: ألم يحن الوقت للتعرف علي المدينة، مر قرابة شهر ولم تطأ قدمك خارج زيزكوف.

جولين في لا مبالاة : أخطط لذلك لكن ليس هذه الأيام.

- أتعتقدين أنك بهذه الكلمات قد تريحني؟ حتي أنك لم تغيري ملابسك هذه منذ أسبوع، ألا تشعري بتلك الرائحة التي تفوح منك ؟.

- حسنا أحب رائحة تعرقي فيها علي الأقل لا تجعلني أنفر من نفسي مثل أشياء كثيره الأن.

شعر بأن الحديث بينهم ذاهب إلي عناد وجدال عقيم مثل عشرات المرات من قبل ففضل أن يتخذ الحديث بينهم منحي آخر قائلا: جولين لماذا تقدحين في نفسك كل هذا وتستسلمين لكل شعور يراودك؟ جميعنا سنصل إلي الله منهكين محملين بالخطايا ليغسلنا منها ويعيدنا إلي أصلنا الأول مجددا.

أخبرته في يأس: لكن يا أبي ربما لو كان عليا التصرف بشكل جيد لتخذت الأمور مسار أفضل الأن.

- لا أحد يعلم ما هو الأفضل، ربما لو لم يأكل أدم من تلك الشجرة لجاء أحفاده واقتلعوها من جذورها لكن هذا هو القدر.

ثم أضاف: الرب يخطط لأفضل الأشياء دائما وليس أسوئها لكن لا أحد يدري أين الأفضل له.

صمتت تفكر ربما وجدت في كلمات أبيها الشيء الذي كانت تحتاج إليه للخروج من هذه المحنة وتفضيل الخيار الثاني وهو الخروج للعالم بقلب جرئ وأقدام واثقة مجددا..

ثم أخبرها قبل أن يغادر: المنزل يحتاج إلي بعض الأشياء من المتجر، سيكون شيء رائع اذا خرجت للتسوق وتعرفت علي أجواء المدينة أكثر لكن لا تثقي بأي أحد هنا فنحن مازلنا غرباء.

********

في الصباح دخلت سارا إلي غرفة والدتها، دفعت أبواب النافذة للخارج وأسبلت الستائر أمامها ليتسلل هواء الصباح إلي الغرفه بلطف مُحبب معلنا يوم جديد ثم أخبرتها بضع كلمات تعلمتها بالعربية: صباح الخير يا بطلتي. بصوت عذب رقيق..

حملت والدتها علي بدأ يومها بالإبتسام مرددة التحية: صباح الخير يا صغيرتي. بصوت يحمل من رقة وحنان والدتها الكثير أيضا.

تلك العادة المتكررة صباح كل يوم منذ أن حطت أقدامهم هرينسكو للمرة الثانية، لكن ما السر وراء نعت والدتها "يا بطلتي" هذه ؟..

حسنا، في تلك الليلة والتي قد قررت والدتها العودة سرا إلي هرينسكو بعد أن فقدت كامل الثقة في زوجها علي احتواء العائلة مجددا وأيقنت أن أمر بقائها في تلك الأرض الغريبة علي أقدامهم وأرواحهم بات شيء جنوني سيحملهم علي مزيد المعاناه والألم فكان عليها أن تتحلي ببعض سمات الشجاعة والبطولة والصبر أيضا حيث أنهك الحزن والتعب جسد ابنتها لفراق عامر بتلك الطريقة القاسية أمام أعينها وزوجها قد صنعت منه وسائل الإعلام بطلا يضحي بروح ابنته لإظهار ولاءه وانتماءه لموطنه الجديد لكن كل هذا كان من أجل المتاجرة بتلك الحادثة لتحقيق بعض الأطماع الأستراتيجيه والعسكريه في مقابل اعطاءه ضمانات ليكون ذا شأن كبير مستقبلا وبالفعل تم اقتحام قرية عامر واعتقال الكثير من أهلها علي رأسهم والديه بحجة التخلص من بعض الإرهابيين الذين يهددون أمن بلادهم والقضاء عليهم.

ارتأت أن تتعايش لفترة مع كل هذا الحمأ وهي علي مضض منه حتي تتعافي ابنتها قليلا وتقنع زوجها بأنها ألغت تلك الأفكار عن الإنفصال أو المغادره وأنها غلبت علي أمرها واستسلمت للبقاء دون رجعة وما هي إلا أيام قليلة وحدث ما كان مخطط له وهو الإنتقال إلي منزلهم الجديد الدائم في يافا الواقعة علي البحر - يافا أرض أجداد عامر - ومن ثم استلم زوجها منصبا إداريا كبيرا فيها ، تلك الخطوة التي صرفت الكثير من الصبر لإنتظارها..

وفي ليلة ادلهم ديجورها خرجت رفقة ابنتها المنهكة الكامدة متخفين عن أنظار الجميع نحو البحر وعلي متن قارب صغير أخذت تجدف بكل أنفاسها قاصدة أقرب شاطئ لبلد آخر لا يهم اسمه لكنه يُمكنها من الخلاص من ذلك الجحيم الدائر حولها منذ أن حطت قدماها تلك الأرض وهي تخبر ابنتها وأصوات الأمواج تصارعها: أصمدي يا صغيرتي قليلا فقد انتهي كل شيء ولم تتبقي سوي يد الرب التي تحملنا الأن.

شرعت في مواصلة التجديف دون توقف، ألم إليدين والكتفين ومواجهة مياه البحر العنيدة التي لا تهدأ ولا تنتهي لم يكن شيء يذكر أمام الجحيم الذي خلفته وراء ظهرها حتي زال السود وانقشع ولاحت أولي أضواء النهار، كان التعب قد نال منها ما نال وابنتها تزداد حالتها سوءا في تلك الأجواء وعندما استشعرت الضياع جاءت الدعوات ملاذا علي هيئة باخرة كبيرة قد خرجت للتو من ميناء أحد الشواطئ اللبنانية بإتجاه جزيرة قبرص المقابلة لهم لتتلقفهم وتحملهم في طريقها إلي هناك حتي بات أمر هروبهم هذا أسطورة لا تُنسي يتذكرونها كل صباح وباتت تلك السيدة بطلة في عين

صغيرتها الضعيفة آن ذاك.

في الحديقة جلسا يتناولان طعام الفطور، لاحظت والدتها أن سحابة الحزن قد انقشعت عن وجه ابنتها وهالة الكآبة قد تبددت وعاد التألق إلي محياها مجددا ليعود بها الزمن متذكرة ميعة صباها وريعان شبابها الأول حينها أدركت أن ابنتها الوحيده قد تعافت تماما من ماضيها الغابر لتعود وردة تزهر في فصلها الربيعي المحبب وفراشة تحلق فوق أرض لا نهائية من حدائق وجنان فردوسية، الأن قد عادت سارا إلي عهدها القديم مجددا..

- أري أن الحديث مع أصدقائك الجدد قد أتي بثماره.

أخبرتها سارا في غبطة والكثير من المشاعر تنتابها وتتسلل من بين كلماتها : نعم ، الحديث عن عامر جعلني أستعيد جزءا من روحه بداخلي مجددا.. جعلت بعض الأشخاص يدركون كم كان شخص رائع وعظيم.. رأيت ذلك في أعينهم ولامسته في تقلبات حكايتنا التي أخبرتهم بها. ثم تنهدت في لهفة وشوق وأضافت: الحديث عن عامر جعلني أشعر بحالة أفضل عن ذي قبل.

سادت حالة من الصمت بينهم ثم عادت والدتها لتخبرها : لا أخفي عنكِ هناك شيئا يحيرني الأن.

انتبهت سارا قائلة: ماذا لديك؟.

- تلك السيده التي تعتني بمنزل براغ كل عام قد أبلغتني أن هناك من بات يسكنه الأن.

شُدهت سارا من حديث والدتها مُعقبة: منزلنا في براغ..!

- نعم، لكنها تراجعت علي الفور وانصرفت لتخبرني بذلك.

تسائلت سارا: وماذا تعتقدين؟. ثم صمتت لثوان لتعيد التفكير مرة أخري واهتدت قائلة في أمل ينم عن سعادة: هل تعنين بأنه قد عاد؟.

نظرت والدتها إلي اللاشيء البعيد قائلة في حيرة: أصبح قريبا بعد كل تلك السنوات. وكأن هذا التكهن أمنية طال انتظارها وودت لو انها حقيقة.

لم تمهل سارا والدتها الكثير من التفكير والحيرة في هذا الأمر قائلة: حسنا، لا مزيد من الوقت.. سأعود لأزف لك بعض الأخبار في المساء.

وهي تهم بالمغادره في سيارتها المكشوف نصفها العلوي نحو منزلهم الواقع في حي زيزكوف - براغ..

********

قُبالة المنزل فضلت سارا أن تجلس علي أحد المقاعد الأسمنتية الممتدة علي طول الرصيف لتراقب المشهد من بعيد، تطالع المنزل في ترقب فإذا بالنوافذ مفتوحة وبالداخل بعض حركة لم تستطع تمييزها فأرجأت ارتقاء البنايه وفضلت الأنتظار والمتابعه لبعض الوقت من بعيد..

مر نصف الساعة فإذا بحركة نشاط كبيرة تنتشر داخل أرجاء المنزل، شخص ما يُحكم غلق النوافذ جيدا واحدة تلو الأخري كأنه يهم بالمغادرة لوقت ليس بالقصير وبعد دقائق معدودة خرجت من باب البناية فتاة متشحة بغطاء رأس رفقة شخص آخر، دار بينهم حديث قصير ثم غادرت الفتاة أولا ومن بعدها أدار هذا الشخص ظهره لتطالعه سارا بوضوح، الأمر الذي جعلها تجهش بالبكاء فور رؤيتها له وهي تقول مكررة: أبي.. انه أبي. بصوت ضعيف متأثر بغمرة دموعها التي انهمرت دون إرادتها.

ظلت تتفرس ملامحه وتدقق في قسمات وجهه التي استبدت بها التجاعيد، قامته التي انتحبت بعض الشيء وهيئته التي نال منها الزمن الكثير لكن كان ذلك للحظات معدودة مترعة بكثير من المشاعر المتناقضة والشوق العارم تجاهه حتي أدار سيارته وذهب بها مسرعا في اتجاه آخر..

نهضت هي الأخري علي الفور تتابع سير تلك الفتاة عن بُعد في حرص وحذر ألا تضيع عن مدي عينيها، عبرا بعض الطرق حتي دخلت متجر كبير فتبعتها سارا إلي الداخل أيضا، أخذت الفتاة تعتاد أجواء المتجر صُحبة سلة تسوق تدفعها أمامها، تجوب بها أركان المتجر في بطئ وتأمل لأقسامه المختلفة

حتي استقرت عند بداية رواق يُعرض في جنباته العديد من المواد الغذائية المُصنعة سريعة التحضير، أخذت علي مهل تُفاضل بين عدد من الأصناف وتضع ما يناسبها في السلة، إرتأت سارا أنه الوقت المناسب لتصنع معها صدفة للتعرف عليها عن قرب، وبالفعل اتخذت من الجانب الأخر للرواق بداية للتسوق بتكلف حتي تقابلا عند نقطة معينة حينها وجهت لها سارا سؤالا باللغه التشيكيه: عذرا، أين أجد تلك المواد الخالية من السكر؟

ارتبكت الفتاه قليلا، بدا ذلك واضحا حتي قالت علي مهل بالإنجليزية دون النظر إلي سارا: أسفة ، أنا لا أتحدث التشيكية.

كررت لها السؤال مجددا باللغه الأنجليزية: هل يمكنك أن تدلني علي تلك المواد الخالية من السكر؟ رجاءا.

حينها أرخت الفتاة غطاء الرأس لتدرك سارا أنها فتاة مازالت في مطلع العشرينات من عمرها، قالت في حيرة: أنا أيضا لا أجدها.

أخبرتها ساره علي الفور: يبدو أنك جديدة علي براغ.

- نعم، أتيت من أمريكا ولم يمر شهر علي تواجدي هنا.

ابتسمت سارا قائلة: أهلا بك، أنا أدعي سارا.

- وأنا جولين.

أخبرتها سارا وهي تتصنع التسوق ممهدة الطريق لحديث ممتد: أنا أعرف براغ جيدا، يمكنني أن أدلك علي بعض الأماكن الساحرة للإستمتاع بها.

تبعتها جولين بعفوية الحديث بينهم قائلة: أنا أحتاج إلي ذلك حقا، لم

أخرج كثيرا منذ أن أتيت إلي هنا. وأضافت بصوت ينم عن أدب وذوق رفيع: لكن سأعذبك معي.

سارا في غبطة وهي تتفحص بعض الأرفف: ها قد وجدتك أخيرا.. !. محدثة تلك المواد الغذائية وأضافت: يبدو أنهم أعادوا ترتيب الردهة مؤخرا.

جولين: نعم هذا ما أحتاج إليه. وهي تضع بعض منها في السلة..

عادت سارا تخبرها: لا أجد في ذلك عذابا فأنا لدي الكثير من الحكايا التاريخية النادرة للعديد من الأماكن في المدينة وأسعد كثيرا عندما أنقلها للغرباء.

جولين في اندهاش: حقا، هذا مثير للإعجاب.

- أتعلمين أن براغ لم يطولها هذا الكم من الخراب الذي عم أوروبا أثناء الحرب العالميو الثانية.

جولين: نعم لاحظت ذلك من خلال الطرق والبنايات، السير فيها أشبه بالسير في متحف مفتوح.

أنهت الفتاتان التسوق داخل المتجر لكن الحديث بينهم لم ينقطع عند هذا الحد، في الشارع عادت سارا متسائلة: كم من الوقت تخططين للبقاء في براغ؟

دفع هذا السؤال جولي للإبتسام قائلة: حقا لا أدري، ربما سأنصاع إلي رغبة أبي في الأخير ففكرة العودة إلي أمريكا لم تعد تغريني علي المدي القريب.

تلقت سارا سماع كلمة "أبي" كالصاعقة علي أذنيها لتقف مكانها منتصبة دون أن تتفوه ببنت شفة جديدة والعديد من الخيالات والتساؤلات

تتردد علي عقلها الأن، تلك الكلمة التي تحلم بالتفوه بها مجددا منذ عشرين عام جاءت فتاة تشاركها فيها الأن..

انتبهت جولي : ما بك ، هل انتِ بخير؟

- نعم أنا بخير لكن عليا الذهاب الأن. وأضافت مبتسمة : حسنا يمكنني مقابلتك غدا في ساحة البلدة القديمة اذا أردت.

لم تفكر جولي كثيرا فأومأت بكتفيها : حسنا ، أراك غدا.

وافترقا عند هذه النقطة..

كانت سارا قد عادت إلي هرينسكو في المساء حاملة إلي والدتها نبأ عودة زوجها من جديد، إليوم الذي طال انتظاره من أجل جمع شتات العائلة من جديد لكن ما قصة تلك الفتاة التي باتت لغزا كبيرا الأن..

والدتها في حيرة: لا يمكن لتلك الفتاة أن تكون ابنته، نحن لم نتطلق بعد ولا يحق له الزواج بأخري في شريعتنا.

سارا تحاول أن تجعل الفكرة منطقية: ربما ابنته بالتبني..! لكن كيف؟ القانون لا يسمح بالتبني لشخص واحد بمفرده.

- علمت بأنه ترك يافا بعد أشهر قليلة من رحيلنا وحتي اذا خالف الشريعه وقام بالزواج من أخري كيف له بفتاة تبدو في منتصف العشرين من عمرها كما قلتِ، هذا جنون.

سارا في أسف: ليتني سألتها عن عائلتها أكثر لكنها المرة الأولي التي ألتقيها.. لا بأس سأحاول تفهم الأمر أكثر غدا.

*******

# الفصل الثالث عشر

في ساحة البلدة القديمة كانت جولي تنتظر قدوم سارا وهي في أبهي حلة لها حيث إرتدت معطف عصري طويل يصل للركبتين ذا رباط في المنتصف أحكمت غلقه علي خصرها النحيل في حين أرخت غطاء الرأس وتركت شعرها يلهو رفقة نسمات الهواء فلم تكن تعبأ ببرودة الجو المحيطة بها.

تتأمل المباني القديمة والكنائس التاريخية المنتشرة حولها حيث كنيسة العذراء مريم ذات البرجين أدم وحواء الذي يمكن مطالعتهما من أي مكان في الساحة اذ يمتد ارتفاعهما إلي ثمانين مترا وهي عبارة عن خليط مدهش من الفن الباركي والقوطي الذي يجذب الأنظار إليها بإستمرار وكنيسة القديس نيكولاس التي تحتوي علي العديد من الرسومات الرائعة والديكورات الفنيه التي تجسد مشاهد من حياته والتي تعبر عن المعاناة الدينية وحركة الإصلاح للشعب التشيكي في ذلك الوقت وفي إحد جوانب الساحة يوجد نصب جان هوس التذكاري الذي انتقد الكنيسة الكاثوليكية فتم إعدامه حرقا بأمر منها آن ذاك بسبب معتقداته الدينية والتي أدت إلي الحرب البوهيمية في الأخير اعتراضا علي فرض سلطة الكنيسة الكبيره وفي أحد الأطراف أيضا يقع البيت الذي شهد علي ولادة الكاتب التشيكي الكبير فرانس كافكا.

أثارت البنايات من إعجابها والعديد من الفرق الموسيقية تؤدي عروضا مبهرة داخل الساحة حولها وفي لحظة ما كانت تطالع فيها أحد الأبراج العإليه سمعت من يلتقط لها صورة علي حين فجأة لتلتفت وتجد سارا تخرج الصورة من كاميرتها الفورية وانتظرت حتي اتضحت تماما قائلة: أنظري أوروبا بأكملها الأن تطوف حولك.

لتطالع جولي أسفل قدميها فتجدها واقفة علي الخط الذهبي الممتد علي الأرض والذي يقع في منتصف أوروبا تماما.

شرعا في السير معا، لفت انتباه جولين ساعة ذات هيكل قديم تعمل بنظم مختلفة انتصبت أمامها في اعجاب فتبعتها سارا قائلة: انها ساعة براغ الفلكية، إليست حقا مثيره للإعجاب؟.

جولي بفضول: وما قصة هذه الساعة؟.

- هذه هي الجهه الجنوبية من برج بلدية براغ القديم وشيدت هذه الساعة منذ بداية القرن الخامس عشر من أجل معرفة العامة بالوقت ، الأبراج ، موضع الشمس، موقع القمر بالنسبة للشمس والدورات الفلكية أيضا، هي ثالث أقدم ساعة في العالم لكنها أقدم ساعة تعمل الأن ومازالت محتفظة بثلاثة أرباع قطعها الأصلية حتي هذا الحين.

ظلت جولين تتأمل أجزائها وتفاصيلها وما هي إلا دقائق معدودة حتي اكتظ عدد كبير من الناس حولها لمتابعة دقاتها المميزة عند رأس الساعة التي كانت في طريقها للتمام، الجميع ينتظر حتي فتحت نوافذها الصغيرة وبدأت

أجراسها تدق بإنتظام فانقسم الناس بين من يطالع المشهد بإستمتاع وبين من يأخذ اللقطات التذكارية لها وما ان انتهت صفق الجميع منتشين بهذا الحدث الفريد في العالم كله.

تركا ساحة البلدة القديمة وقادتها سارا إلي سوق هافل العريق وهو عبارة عن أكشاك خشبية ممتدة بمحاذاة بعضها البعض يقصدها سياح المدينة من أجل التسوق وشراء الهدايا التذكارية وتجربة أنواع جديدة من الأطعمة طيبة المذاق، هناك أدركت جولين الكثير من عادات وطباع الشعب التشيكي واستمتعت بالكثير من البنايات المحيطة بالسوق أيضا..

كانت الوجهة التإلية هو جسر تشارلز أحد أهم معالم براغ وأوروبا الوسطي الواقع علي نهر فلتافا أطول أنهار التشيك اذ يبلغ طوله نصف الكيلومتر بعرض عشرة أمتار وهو للممشي والإستمتاع بعراقته وأصله التاريخي، أخذت جولين بعض الصور بجانب عدد من التماثيل التي تزين الجسر والبالغ عددهم ثلاثين قديس كاثوليكي لكن أثناء سيرهم علي الجسر لم تستطع سارا أن تخفي فضولها فتسائلت: هل انتقلت إلي براغ رفقة والدك فقط؟

جولي وهي تطالع جنبات الجسر المختلفة: نعم ، ليس لي أحد سواه ، توفت والدتي أثناء ولادتي في مدينة تدعي يافا حينها فضل أبي ترك البلاد والإنتقال للعيش في أمريكا وهناك قضيت كل سنوات عمري.

قالت سارا في اندهاش: يافا..!

- ما الأمر؟

- هل تقصدين تلك المدينة الواقعة علي البحر المتوسط ؟

- نعم، لكنني لم أذهب إلي هناك من قبل.

حينها استندت سارا علي سور الجسر تستوعب تلك الحقائق المتتإلية عن أمر جولين الذي يزداد غرابة وغموضا يوم بعد الأخر ثم قالت محدثة نفسها: ماذا فعلت يا أبي، ماذا فعلت طيلة تلك السنوات ؟.

استكملت السير رفقة ذلك اللغز الذي يسير بجانبها الأن من روح ودم يحدثها وتحدثه ولا تستطيع رؤيتها في غير ذلك المشهد في حين جذب انتباه جولين رجل علي أحد جوانب الجسر يبيع الأزهار فتذكرت علي الفور أمر صديقتها زوي المولعة بتلك الكائنات الرقيقة ، ذهبت إليه دون تفكير وابتاعت بعض منها وظلت تشتم رائحتها طيلة الوقت الأمر الذي دفع سارا لسؤالها: وهل لديك من تهدين له تلك الأزهار؟

حرك ذلك السؤال الكثير من المشاعر والعواطف الكامنة داخل نفس جولين وأخذت تتنهد بصوت مسموع وكأنها تتأوه وتتألم متذكرة سام ، لاحظت سارا اضطراب نفس جولين المفاجئ فعادت متسائلة أيضا : يبدو أن هناك قصة ما وراء تلك التنهيدات.

أجابتها جولي بإبتسامة : وماذا تعتقدين ؟

- لا تنكري شيء فقد رأيت الثقوب بروحك الأن.

أخذت جولين نفس عميق قائلة: حسنا، يدعي سام ولا يسعني القول غير أن حبي الكبير له جاء علي قدر النهاية المأساوية التي فرقتنا بالموت. ثم

أضافت في حزن شديد: لكنني أتحمل جزءا كبير من فراقنا بالتأكيد.

قالت ذلك وهي ممسكة الأزهار دون انتباه بقبضة قوية يعكس ما يُعتمل داخل روحها الأن وما ان أفاقت من شرودها ونوبات جلدها لنفسها تفاجئت بقطرات دماء تخرج من يدها فقد أصابتها بعض الأشواك التي تركت بإهمال في عنق الأزهار حتي أدركت سارا الأمر فأخرجت منديل جيبها ووضعته علي يدها لإيقاف ذلك النزيف قائلة: أنا أسفة جدا بشأن سؤإلي هذا.

مرت دقائق صمت بينهم حتي أخبرتها سارا: أنا أيضا لدي قصة مشابهة لكنني احتجت إلي عشرين عاما لتخطي مأساتها حتي أنني كنت أخاف البكاء كي لا يغرق العالم ثم بدت لي الأن شيء أفتخر بالحديث عنه.

جولي في فضول : وما كان اسمه ؟

- كان يدعي عامر. ثم نظرت إليها وهي تتفرس ملامح وجهها: أتعلمين شيئا، أنا أسأل نفسي منذ البارحة هناك شيء لا أعلمه يجذبني إليك غير أننا أصبحنا أصدقاء لكنني الأن أدركت أنك تشبهينه في الكثير من الأشياء.

قالت جولين مداعبة: حسنا هذا يضمن لنا صداقة طويلة الأمد. ليضحكا معا ثم تخبرها سارا مجددا: لدي أيضا ثلاث أصدقاء أخريات رائعين سأعرفك عليهم يوما ولا تقلقي بشأنهم انهم يجيدون الإستماع إلي القلوب العظيمة.

- حسنا سيسعدني ذلك بالتأكيد.

وظلتا تجوبان شوارع براغ في سعادة والكثير من الأحاديث لا تنقطع بينهم..

كان يوما حافلا لـ سارا فهي لم تحظي بمثل هذا المغامرة في شوارع براغ من قبل علي الرغم من معرفتها الكاملة بتفاصيل أحيائها وأسرارها التاريخية أيضا فتعصبها إلي هرينسكو أكبر من أي مدينة أخري لكن مغامرتها الأكبر كانت التوصل إلي كشف حقيقة جولين ومن تكون؟ فأخذت تحمل نفسها علي التفكر كثيرا ومليا مع تحليل أدق التفاصيل التي أمدتها بها جولين بعفوية الحديث بينهم إليوم، الحديث الذي أثار في نفسها الكثير من الذكريات والتفاصيل المتعلقة بـ عامر موقظا بداخلها مشاعر الشوق ونوبات الحنين إليه مجددا..

فتحت خزانتها السرية وأخرجت بعض من ماضيها الذي احتفظت به بعناية منذ زمن طويل، ذلك الثوب الشرقي الذي ألبسها إياه متخفية قبل أن يذهبا معا إلي المخبأ السري رفقة أهل قريته، ضمته إلي صدرها وأخذت تشتم رائحته بنزوع وشوق عارم لعلها تعيد القبض علي لحظة ما من تلك الأيام مجددا فتحتفظ بها إلي الأبد ثم أخرجت ذلك المفتاح العتيق الذي خلعه عن رقبته رغبة منها في معرفة سره لكنه ظل معها حتي ذلك الصباح المشؤم ثم تلك القطعة من القماش التي وضعها علي فمها عندما كادت الغازات أن تخنقها حتي غمرته دمائه في الأخير وهي تحتضنه ومازالت أثارها باقية عليها حتي الأن.

أغمضت عينيها وقضت بعض الوقت رفقة تلك الأشياء، الذكريات تحاصرها وتزرعها في تلك الأيام مجددا وفي لحظة ما تذكرت شيئا، فتحت عينيها في انتباه دقيق لبعض التفاصيل قائلة: جميلة..! انها جميلة.

ثم أخرجت من جيبها المنديل الذي امتلأ بدماء جولين إليوم وضمته بجانب تلك القطعة الغامرة بدماء عامر قائلة في فرح شديد ودقات قلبها تتسارع : الأن عرفت ما الذي يجذبني إليك بهذه القوة يا جولين.

في ذلك الحين كانت جولين منتشية بتلك الرحلة في أرجاء براغ والصديقة الرائعة سارا التي التقت بها مؤخرا حيث جلست تخبر زوي بكل تلك التفاصيل مرفقة إياها ببعض الصور التي التقطتها في أماكن متفرقة من المدينة إليوم في حين كانت زوي تمتلك من الأخبار ما هو سعيد أيضا حيث قدم لها ماثيو خاتم الخطبة في مفاجئة أعدها لها في وسط المركز التجاري ذلك المكان الذي شهد علي لقائهم الأول وقصة حبهم غريبة الأطوار أيضا، كان يوما مبهجا مباركا علي الفتاتان.

ارتفع صوت هاتف جولين ملعنا عن رسالة جديدة، تفحصت الهاتف فوجدت سارا تخبرها بشغف كبير أنها تريد لقائها في مطعم البحيرة غدا مرفقة إياها بتفاصيل المكان للتعرف علي أصدقائها وقضاء يوم جميل آخر رفقتها فما كان من جولين إلا أن وافقت علي الفور في رسالة أخري بعثتها بنفس ذلك الشغف أيضا.

********

في الصباح تجهزت جولين علي نحو رائع يليق بالتعرف علي أصدقاء جدد ثم انطلقت نحو مطعم البحيرة، عبرت الجسر الخشبي المقام علي سطحها حتي استقبلتها سارا بترحيب كبير قائلة: تسعدني رؤيتك مجددا جولين. واحتضنتها لبضع ثوان ثم تسائلت: هل أعجبك مطعم البحيرة؟.

جولين وهي تطالع المنظر حولها: بالتأكيد، أنا لم أري شيئا كهذا من قبل.

- انه مقر لقاءاتنا السرية، الفتيات متشوقن جدا لرؤيتك. وارتقت بها إلي الطابق الثاني..

كانت سابينا، لينكا وفيرونكا يتسامرون في أجواء مرحة وبعض الضحكات يصدر صداها من أحاديثهم التي لا تهدأ حتي أدركا وجود تلك الفتاة التي أخبرتهم سارا عن حقيقتها قبل قليل، عم الهدوء بينهم فقدمتها سارا قائلة: هذه جولين صديقتي التي أخبرتكم عنها.

تلقت كلمات ترحيب دافئة بأعين تفيض بمشاعر عذبة شعرت من خلالها أنهم يعرفونها منذ زمن طويل أو أنه أمر متكرر معتاد، لا تدري لكنه بعث في نفسها الكثير من الهدوء والراحة بينما جلست بينهم كأنها جزء من ماض سارا الإليم.

تحدثت كل سيدة عن نفسها في عُجالة وبطريقة رسمية حتي جاء دور جولين لتنهال عليها العديد الأسئلة في فضول كبير فوجدت نفسها تسرد الكثير عن ماضيها حتي عادت بالحديث إلي مكان ولادتها يافا تلك الفترة التي ألحت السيدات علي أن تعرف عنها الكثير لكن ماذا عساها أن تخبرهم به حتي ان والدتها لا تمتلك لها صورة أو بعض من تفاصيل شخصيتها فقد جعلها والدها شيء ضبابي غامض في مخيلتها وما أسهل أن يعتنق الأطفال بعض الحقائق في الصغر حتي يعتادوا تقبلها في الكِبر..

قالت جولين بكل صدق وبراءة: أنا حقا لا أعلم شيئا عن تلك الفترة أو عن والدتي إلا القليل.. القليل جدا.

فاجئتها سارا قائلة بجدية: لكنني أعلم كل شيء يا جولين.

حينها ضحكت جولين بشيء من السخرية اعتقادا منها أنها مزحة أرادت سارا أن تلقيها علي الجميع، لكن ما ان وجدت الجميع صامتا كأنهم صدقوا تلك المزحة تحولت ملامح جولين من الضحك إلي ابتسامة طالعة بها وجوه الجميع، ابتسامة تنم عن غموض وتأهب لشيء ما غائب عنها لا تعرفه قائلة: ماذا تعنين..؟!

أخذت سارا انفاسها علي مهل ثم قالت: أعلم أن ما سأخبرك به الأن قد يكون شيء من الجنون لكن هذه هي الحقيقة وتقبلها قد يستغرق بعض الوقت هذا لأنها كانت غائبة عنك طيلة الوقت.

زادت كلمات سارا من دهشة وفضول جولين وشدهت لها شدها كبيرا فقد تحولت أجواء الجلسة المرحة إلي حالة مريبة غامضة لا تعرف ماذا ستكون نهايتها؟، طالعة وجوه السيدات مرة أخري فتلمست منها شيئا هاما يريدون أن يلقوه علي مسمعها بأفضل طريقة ممكنة فوجهت نظرها إلي سارا مجددا في ترقب حتي بدأت حديثها قائلة:

دعيني أخبرك الحقيقة كما هي لا أزيد عليها ولا أنقص منها شيئا، نحن عائلة يهودية بسيطة كانت تسكن هرينسكو، أراد أبي أن نقوم بالعُليا كي نستطيع تحقيق الكثير من أحلامنا المرهونة بالذهاب إلي هناك وعندما تحقق ذلك قمت بكل سذاجة في إحدي الأيام بتخطي بعض الحدود الغير مسموح لي بالذهاب إليها، تعرفت حينها علي شاب يدعي عامر، انقذني من العديد من المخاطر وتخطينا العديد من الصعاب معا حتي تولدت بيننا صداقة عميقة

وعايشت رفقته غارات حارقة وقصف لايهدأ كاد أن يفتك بروحي لولا وجوده بجانبي، اعتقدت عائلتي انه قام بإختطافي فأرسلوا بعض الجنود لإستعادتي مجددا وعندما نجحوا في ذلك قاموا بقتل عامر أمام عيني بطريقة وحشية لم أكن اتخيلها، عانيت كثيرا من أجل تخطي تلك الحادثة لكنني لم أفلح فقررت والدتي العودة مجددا إلي هرينسكو الأمر الذي رفضه والدي بشدة لكن عندما سنحت لنا الفرصة للهرب والعودة مجددا قمنا بذلك سرا دون علمه، كانوا قد اقتحموا قرية عامر واعتقلوا الكثير من أهلها وكانت من بينهم والدته التي كانت تنتظر مولودا جديدا في أخر أشهر حملها، أخبرني عامر حينها انهم يتوقعون فتاة واختاروا لها اسم "جميله" لكن عندما علم والدي بخبر هروبنا تولد لديه حقد كبير تجاه عائلة عامر وعندما وضعت والدته مولودتها توفت آن ذاك بسبب حزنها الكبير علي عامر وبعض الإهمال أيضا فتبني والدي أمر تلك الفتاة وهاجر بها سرا إلي أمريكا والأن عاد برفقتك.

صمتت جولين لثوان في استيعاب لتلك الإدعاءات ثم قالت ساخرة: أتعنين أنني أدعي جميلة وأن عامر هذا هو أخي وأنني في الأصل فتاة عربية فلسطينية تم تضليل هويتها..!

لم تتفوه سارا ببنت شفة وأخرجت بعض الأوراق قائلة: لقد قمت بتحليل الحمض النووي لدمائك التي سالت بالأمس في أكبر معامل براغ فوجدتها مطابقة تماما لمادة عامر الوراثية.

أمسكت جولين تلك الأوراق وبعد أن تفحصتها سيطرت عليها حالة انفعال غريب فأخبرتها بعصبية : يبدو أنني أهدر وقتي عبثا معكم.

عادت سارا تخبرها: هذه هي الحقيقة، أنا أدعي سارا ميتشل أريسون وهذا الرجل أبي. وهي تخرج بطاقة هويتها..

لم تلتفت جولين إلي هوية سارا وأخذت تصيح: أتعلمين شيئا لقد سئمت سماع تلك الأكاذيب منكم.

- حسنا ستتضح لك الحقيقة يوما.

- أنتِ لئيمة يا سارا ، لقد أخبرني أبي أن لا أثق بأحد في هذه المدينة الحمقاء ويإليتني فعلت. قالت ذلك وهي تغادر المطعم في حين سقطت سارا في نوبة من البكاء الشديد وباقي السيدات يحاولن تهدئتها.

********

عادت جولين إلي المنزل تسترجع في مخيلتها ما حدث منذ قليل عشرات المرات، لا تعرف كيف توقف صوت علقها والعديد من التساؤلات تنتابها، هذا شيئا جنوني، كيف لأحد بالكاد يعرفها في مدينة عمرها فيها بضعة أسابيع فقط أن يشكك بأصلها وماضيها؟، وأخذت تقنع نفسها: لا بد أن تلك اللئيمة سارا تهذي رفقة هؤلاء الثلاثة المجانين أيضا، لابد أنها لعبة وقد وقعت بها فريسة لأربع سيدات استبد السأم بمنتصف أعمارهم وملأ الفراغ أوقاتهم، لا يجب أن أصدق تلك الإدعاءات والأكاذيب.

وجدت والدها يجلس أمام التلفاز بإنتباه كبير يشاهد إحدي قنوات الباقة الرياضية التي أدخلها إلي المنزل مؤخرا وما ان انتبه إلي عودة ابنته قال بشغف كبير وهو لم يدر نظره عن التلفاز: جولي، أتيت في الوقت المناسب، هذا الصربي الماكر علي وشك أن يوقع بذلك العجوز وينتزع اللقب منه.

ذهبت علي الفور لتعانق أبيها بقوة في محاولة دفاع ذاتية عن تلك الحماقات التي تفوهت بها سارا منذ قليل قائلة: لقد اشتقت إليك كثيرا. وهي تقبله ثم جلست بجانبه تتابع بإهتمام ما يثير من حماسته الأن..

عم الهدوء داخل أرجاء الملعب والجميع في ترقب لتلك النقطة الهامة، النتيجة تشير لتقدم روجر علي ارساله بفارق نقطتين بأسبقية الكسر في الشوط الماضي والمعلق ينوه قائلا: الفوز بأي من النقطتين التاليتين يضمن لروجر لقب ويمبلدون..

أضاع روجر النقطة الأولي بسذاجة لكن لا بأس هناك فرصة أخري، عم الهدوء ثانية والجميع متأهب في أي لحظة للإحتفال والمذيع ينوه مرة أخري قد تكون نقطة البطولة لروجر..

روجر يرسل من أجل اللقب فيقوم دجوكوفيتش برد الإرسال ببراعة ، روجر يخاطر ويصعد علي الشبكة فيقوم الصربي بضرب الكره في النصف الخالي من الملعب لينقذ الفرصتين وينجو من الخسارة ويعود إلي نقطة التعادل مجددا حينها قام ميتشل أريسون مهللا بجنون: لن تفوز أيها العجوز..! لن تفوز ، هيا يا دجوكو افعلها.

استمر التعادل بينهم طيلة باقي الأشوط وفي المجموعة الفاصلة انهار روجر ذهنيا وتأخر في النتيجة حتي وجد الصربي الأمور مهيئة للفوز وبالفعل كان اللقب من نصيبه وسط فرحة عارمة لوالدها الذي انتفض وأخذ يردد محدثا التلفاز: قلت لك لن تفوز أيها العجوز.. أنت الأفضل يا دجوكو.. أحسنت يا دجوكو. وسط سعادة متبادلة من جولين علي الرغم من أنها لا تفقه شيء في تلك اللعبة.

ابتعد أبيها عن التلفاز فقامت بتصفح بعض القنوات بلا مبالاة حتي استقرت علي واحدة تعرض فيلم "ذا ترومان شو" لـ جيم كاري..

كانت الأحداث في دقائقها الأخيرة حيث اختفي ترومان عن أنظار الجميع فتولدت حالة من الدهشة والفضول لدي ملايين المشاهدين حول العالم لهذا البرنامج المزيف الذي يدار من قبل مخرج يحرك الأحداث كما يريدها علي متن جزيرة يقطنها عشرات الممثلين والكاميرات وترومان هو الشخص

الحقيقي الوحيد من بينهم والذي يرصد المشاهدون أفعاله وأحداث حياته إليومية التي تتكرر فيها نفس المواقف بحذافيرها بشكلٍ يومي منذ الولادة وهو لا يدري لكنه يشعر دومًا أن شيئا ما ينقصه فقرر أن يسافر ويجوب العالم لكن العوائق المصطنعة تقف دائمًا في طريقه حتي قرر الهرب في قارب صغير علي الرغم من مخاوفه الكبيرة تجاه المياه والإبحار.

قرر المخرج بأن يعيده مجددا إلي الجزيرة بإرسال عاصفة رعدية مصطنعة لكنه ظل يقاومها حتي زال أثرها ووصل إلي نهاية البحر فتفاجئ بأن كل شيء مصطنع حيث حائط كبير رسمت عليه سحب وسماء بعيدة ممتدة وباب كُتب عليه "الخروج"، هنا قرر مخرج البرنامج أن يحدثه لأول مرة..

سمع ترومان صوت من السماء يناديه: ترومان..! يمكنك التحدث ، أستطيع سماعك.

ترومان في تَهيب : من أنت ؟

- أنا مبدع برامج تلفزيونية تعطي الأمل والمتعة والإثارة للمشاهدين.

- ومن أنا ؟

- أنت النجم.

صمت ترومان لثوان في استيعاب للحقيقة ثم قال: إذا لم يكن هناك شيئا حقيقيا.

- أنت من كنت حقيقا وهذا ما جعلك تستحق المشاهدة.

لم يهتم وهم للخروج من الباب فعاد المخرج يحدثه: أنصت إلي ترومان.. ليس هناك أفضل في الخارج من العالم الذي أبدعته لك.. نفس

الأكاذيب ونفس الخدع.. ولكن في عالمي لا يوجد شيء يستوجب القلق، أنا أعرفك أكثر مما تعرف نفسك.

ترومان بعصبية: لم تكن لديك كاميرا داخل رأسي أبدا.

- انت خائف لهذا لن تستطيع المغادرة.. لا بأس يا ترومان أنا أتفهمك، أنا أراقبك منذ ولادتك.. أول خطوة علي قدمك وأول يوم لك بالمدرسة وعندما فقدت أول أسنانك.. لايمكنك أن ترحل ترومان أنت تنتمي إلي هنا.

ظل ترومان صامتا فحاول المخرج اثارة حماسته قائلا بشغف: قل شيئا.. تحدث، أنت في بث مباشر مع العالم بأكمله يارجل.

نظر ترومان إلي السماء وقال دعابته المشهورة في الفيلم: في حالة لم أراكم.. مساء الخير، ليلة سعيدة وتصبحون علي خير. وهو يبتسم ويحيي الجيمع في مشهد ختامي للبرنامج ثم خرج من الباب إلي العالم الحقيقي بالخارج.

ظلت تطالع التلفاز في شرود حتي اسودت الشاشة وبدأت أسماء القائمين علي العمل في الظهور، ان الغريب في هذه الأعمال أنها تصطحبك معها إلي القمة ثم تلقي بك وحيدا من فوق الهاوية وتنتهي لذا ظلت تحرك عينيها يمينا ويسارا تفكر وكأنها تتأرجح بين الشك وإليقين وكأن ترومان جاء لها بإشارة من القدر مفادها: واجهي الحقيقة مثلما فعلت، واجهي الحقيقة حتي تنعمين ببعض الهدوء، أبحري تجاه مخاوفك وإلا سيظل شبحها يطاردك وتتلاعب بك الظنون والخيالات إلي الأبد.

لقد سأمت من تراكم الحقائق عليها، هي الأن متعبة مرهقة فلم يعد يغريها معرفة المزيد منها لكن ماذا لو لم يبحر ترومان حتما سيظل حبيسا لعالمه المزيف، أيقنت أن الفيلم قد انتهي تماما فقامت بإغلاق التلفاز، تنهدت في حيرة كبيرة وكأنها تقول: ااه ماذا فعلت بي يا سارا.. لقدر تركت منهاتن هربا من واقعي وظننت أنني سأتعافي هنا لكن عاد لي الماضي بكل أسراره التي لا أعلمها ليطاردني ويسرق ما تبقي من راحتي.

# الفصل الرابع عشر

مرت ثلاثة أيام ، لم تفلح فيهم جولين في إخماد صوت عقلها والكف عن تلك الأسئلة المتكررة التي تزداد قوة وإلحاحا يوما بعد يوم وكأنها ثورة بداخلها الأن، كل ذرة منها تطالبها بالحقيقة باحثة عن أصولها الأولي، وما زاد من تلك المعاناة بعض المواقف التي بدأت تتردد علي ذهنها في الآونة الأخيرة والتي كان يضعها فيها والدها تحت الإختبار والضغط حيث بعد كل مشاجرة كانت تنشب بينهم يهمل في تعاطي أدوية السكري خاصته لتعود وتجده ملقي علي أرضية الغرفة بأنفاس متقطعة وجسد يحتضر وما ان يتخطي كبوته يُلقي عليها تلك الأوهام والتساؤلات: اعتقدت بأنك ستتركيني وتذهبين..! ، هل تفكرين في التخلي عني يوما؟. فما كان منها إلا أن تجيبه بكل براءة وصدق: ليس لي أحد سواك. ولم تكن تجد سببا مقنعا لتلك الأفعال..

أصدقائها الذين كانو يقل عددهم يوما بعد يوم أثناء سنوات الجامعة لمجرد معرفتهم بأن والدها هو ميتشل أريسون الأكثر نفوذا داخل المدينة حيث يدخلون منزلها في المرة الأولي ودودين ومحبين ليعودوا في إليوم التإلي غرباء متحفظين بشأنها كثيرا..

اهماله لها في معرفة أصول ديانتها إليهودية في سنوات طفولتها الأولي علي الرغم من أنه يشرف بدوره علي المعابد وينتظم العديد من الإحتفالات والتجمعات الدينية بنفسه..

كل تلك الأشياء وغيرها تفتك برأسها الأن ، تحلل أدق تفاصيلها ، تحاول جاهدة أن تبحث فيما وراء الأشياء فتنتهي إلي ذلك السراب وتلك المتاهة التي

أدخلتها بها سارا فبدا ذلك واضحا من معاملاتها معه في الأونة الأخيرة حيث تارة عندما يزداد تصديقها لتلك الإدعاءات تتعمد أن لا تتفوه بكلمة "يا أبي" أثناء حديثها معه فتنتقي من الكلمات أعنفها وتلقي ما تريد قوله علي مسمعه من المرة الأولي جامدا وحادا وتارة أخري عندما تميل إلي تكذيبها تذهب إليه بحنين كبير وفخر وتَهيب لتشاركه الأحاديث وبعض الزكريات، لكن تلك الميوعة وذلك البين بين يؤرقها، يشق روحها ويقسمها إلي نصفين متصارعين ولا يستطيع أي طرف أن ينتصر علي الآخر.

قررت دون حاجة ملحة الذهاب إلي ذلك المتجر مجددا، متشحة بغطاء الرأس تدفع سلة التسوق بين الأروقة في عُجالة من أمرها، تبتاع ما يلزمها وما لا يلزمها من أشياء يقع الأختيار عليها حسب الرغبة ثم أرخت الغطاء مجددا وتصنعت سيرا هوينيا بلا هدف ولا تدري ما الدافع وراء ذلك كله حتي تملكها السأم، دخلت رواق المواد الغذائية فوجدته مكتظ بالعامة، أخذت تتفحص الوجوه وتتأملها جيدا وعلي حين غفلة سمعت من يخبرها من الخلف : هل تبحثين عن احتياجاتك أم عن الحقيقة ؟!

أدارت ظهرها فوجدتها سارا تقف موجهة نظرها صوب عين جولين في تحد فقالت بحزن ينم عن قلة حيلة: ماذا فعلتِ بي؟ هل تعتقدين أنها مزحة؟.

- نعم انها مزحة واستمرت عشرين عاما وحان الوقت لإنهائها الأن. وأضافت وهي تربت علي كتف جولين بيديها: أنا أعلم ما يدور بداخلك الأن، تريدين الحقيقة لكنك خائفة من أثرها إليس كذلك ؟!.

صمتت جولين فلم تمهلها سارا الكثير من الصمت وقادتها خارج المتجر تاركة ما ابتاعته جولين بالداخل قائلة: لم يعد هناك المزيد من الوقت، هناك طائرة يجب أن تُقلك إليوم إلي وطنك فلا يليق بك قضاء الباقي من عمرك هنا.

ثم أردفت: تركت لك هناك دليلا سيعيدك إلي أبيك بأمان وبعض ثياب عربية واثقة من أنك ستحبينها كثيرا. ثم أخرجت من حقيبتها مفتاح عامر - مفتاح حق العودة - ووضعته في يد جولين وجعلتها تُطبق عليه قائلة: هذا هو هويتك الحقيقية.. لقد ورثتِ هذا عن عامر، انه مفتاح بيت أجدادك في يافا، أما الأن سأريح قلبك وسأجعلك تعلمين الحقيقة كاملة فقد تجهزت لذلك إليوم أيضا.

ارتقت سارا البناية وعندما وقفت أمام بيت منزلهم القديم أغمضت عينيها وأخذت بعض الأنفاس علي مهل طالبة من جولين البقاء بالخارج، وضعت أولي أقدامها داخل المنزل ولم تغلق الباب خلفها بل تقدمت بضع خطوات حتي سمعت صوت ميتشل أريسون بالداخل يقول: جولين ها أنتِ عدتِ الأن.. لماذا لم تخبريني بأنك ذاهبه..

انقضت عدة ثوان ثم عاد يقول: جولين أجيبيني..!. ثم أضاف: هل عدتِ إلي عاداتك القديمة بالصمت مجددا.

لم يجيبه أحد حتي استشعر شيئا غريب يحدث فخرج من غرفته لتنتصب أمامه سارا وتتلاقي أعينهم بعد فراق دام عشرين عاما حتي فقد كل طرف القدرة علي الحديث لثوان ثم قالت سارا بمشاعر غامرة والدموع

تتجهز في عينيها: أبي لقد اشتقت إليك كثيرا.

تملكته مشاعر الأبوة قليلا ثم قست ملامح وجهه وتجهمت قائلا: أنا لست أبيك.. أين جولين ؟. وأخذ يردد في أرجاء المنزل: جولين.. جولين أين أنتِ يا ابنتي.

لم تترك له الفرصة لمناداة جولين أكثر وقالت له بإنفعال يملئه الكثير من الحنين: لا أنا ابنتك سارا..أنا من تحمل جيناتك.. أنا من تربت علي يدك في هرينسكو يا أبي وأنت تعلم ذلك جيدا. والدموع تنهدر في هدوء من أعينها.

عاد ليخبرها: لقد تخليتم عني منذ زمن طويل..

لم تمهله الفرصة لقول المزيد من تلك الكلمات القاسية وقالت: لا نحن كنا نحتضر يوما بعد يوم هناك يا أبي، لم تكن أرضنا ولا سمائنا.. لقد عايشت ذلك الواقع وتألمت كثيرا له.

- لا داعي لنبش الماضي الأن.

اقتربت منه تتأمل وجهه عن قرب والدموع تملأ خديها وهي تستعطفه قائلة: حسنا لننس الماضي إذا، والدتي تنتظرك في هرينسكو الأن، هناك سريرك مازال مرتبا.. كرسيك مازال يتصدر طاولة الطعام.. حديقتنا تريدك لتعيد زراعتها مجددا.. كل شيء يفتقدك كثيرا يا أبي. وهي تلف زراعيها حوله تحتضنه بشدة حتي عانقها وبادلها ذلك الشعور أيضا.

ذهبت سارا مجددا بإتجاه الباب فلم تجد جولين التي كانت في طريقها لمغادرة براغ والعودة مجددا إلي وطنها فحمدت الله كثيرا..

**القدس - دولة فلسطين**

**حطت جولين أقدمها داخل أحد أحياء مدينة القدس، كان هناك رجل بإنتظارها ناداها بإسم "جميله" فلم تبدي للإندهاش أثرا، هنا الجميع يعلم بأمر جميله تلك الفتاة الغائبة منذ عشرين عاما، كان ايمانهم بأنها ستعود يوما نابع من قلب ذلك الرجل العجوز "أبا عامر" الذي ينتظر قدوم ابنته منذ سنوات طويلة، أعطاها ذلك الرجل ثوب لترتديه، كان عبارة عن عباءة بدوية سمراء مطرزة عند الصدر والأكمام الفضفاضة بألوان نارية ترسم طريقا طويلا وورودا علي الجانبين حاكتها يد فتاة فلسطينية حالمة لم يتعدي عمرها الخمسة عشر عاما، ارتدتها جميله ثم أعطي لها كوفية الصمود الفلسطينية ذات الألوان الأبيض والأسمر المحايدة لتغطي بها رأسها حتي بدت في تلك الثياب يوم عزوعيد قادم قريبا لتلك البلاد.**

**ذهبا متخفين نحو التلة التي بدت أقل حدة عن ذي قبل بتأثير الزمن عليها او حزنا علي منذ يوم فراق عامر، إتخذا ذلك الطريق الآمن - في الخفاء - ثم بدأت تعبر الأحراش رفقة ذلك الرجل حتي بدت ملامح قرية عامر..**

**قلبها تزداد دقاته داخل صدرها وأرجلها تتخذ خطوات كبيرة نحو بلدتها حتي أصبحت تعبر من بين المنازل والجميع يطالعها مهللين فرحين بعودتها فحكاية جميله وعامر لم تعد اسطورة في عقل صغار القرية وأصبحت حقيقة امام أعينهم.**

أهتدت عند منزل جلس أمامه عدة أفراد من بينهم أبا عامر، قللت من حدة خطواتها وهي تطالعه من بينهم وقلبها لا تزال دقاته تنبض بقوة وحرارة، أفسح لها الجميع الطريق وما إن رآها أبا عامر وشاهد مفتاح بيت أجداده في يدها حتي فتح لها ذراعيه فإحتضنته بقوة وهي تردد في شوق : أبي.. أبي..

ثم عادت تنظر إليه متأملة ملاحمه التي لم تكن تختلف كثيرا عنها حتي أخبرها: جميله ابنتي.. لم أفقد الإيمان يوما بعودتك.

" نحن بذورا يمكنها أن تُدفن بالخطأ في أي مكان لكنها لن تُزهر أبدا إلا في أوطانها "

**تمت..**

يود الكاتب أن يعترف ..

جميع شخصيات الرواية خيالية

وعلى الرغم من ذلك أقدم إعتذاري

إلي جولين عن موت سام الذى فطر قلبها ..

## نبذة عن الكاتب ..

عبد الحميد مجدي عبد الحميد محمود

تخرج من كلية الأداب جامعة طنطا قسم علم الإجتماع

نشرت له رواية باريس عام ٢٠١٩

هاتف /01094147232

هاتف /01287093263

فيسبوك /عبد الحميد مجدي